مجلة البيان – العدد 79 ، ربيع الأول 1415هـ / أغسطس 1994م

كلمة صغيرة

أصبح المجاهدون الذين ساهموا في تحرير أفغانستان ظاهرة مرعبة وغير مقبولة في كل بلد، وقد اتُخذت الوسائل الخسيسة لإظهارهم وكأنهم الخطر الأكبر على كل بلد ينتمون إليه زوراً وبهتانا، وجرَّموا بمجرد الانتماء لذلك الجهادٌ، بل ونالهم نكران الجميل حتى من أقرب المقربين لهم من رفاق الجهاد الذين طالب بعضهم بإخراجهم من أفغانستان، بل وأصدر المنافقون فتاوى بحل قتلهم ظلماً وعدواناً!

إنها خطة شيطانية يساهم فيها أعداء الإسلام وأذنابهم لضرب أولئك الشباب والقضاء عليهم، فماذا سيكون رد فعلهم يا ترى، فماذا سيكون رد فعلهم يا ترى؟! وكنا نود توعية بعضهم حتى لا تظهر بينهم بعض الأفكار المتعجلة والمنحرفة كما حصل لشباب الخلافة مثلاً ونهايتهم المأسوية، كما كنا نتمنى استغلالهم في مقاومة الباطل وحزبه في مواقع جهادية أخرى، لكن هذا الأمر لا يعني أولئك الحكام بحال مادام أن محاربتهم رغبة السادة الكبار!!

@الافتتاحية

المشروع العلماني يتداعى

جاء الإسلام رسالة خاتمة أخرج الله به الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ولذلك دخله الناس أفواجاً، وعلى هذا الأساس قامت دولة الإسلام في المدينة، وتواصل مده عبر القرون، فكانت جنسية المسلم عقيدته.

وحينما بَعُدَ المسلمون عن حقيقة دينهم، وانحرف بهم الفهم عن أصول معتقدهم ومنطلقاته الإيمانية، حينها ظهرت الأمية الفكرية والتعصب المذهبي والاتجاهات البدعية، وظهر الغلو المصادم للإسلام، مما أدى إلى شيوع الجهل في الأمة بعامة، مما أدى إلى سقوطها أمام الزحف الاستعماري الجديد الذي اصطنع نفراً من أبناء الأمة على عينه، فظهرت في ديار الإسلام الاتجاهات الفكرية الوافدة التي دعت إلى القومية والعنصرية والفئوية، بتشجيع من المستعمر المغتصب الذي سلم العهدة بعد فترة الاحتلال وبعد مقاومته إلى تلامذته ومريديه، وهو متأكد تماماً من مدى حرصهم على أداء دوره، وقيامهم بتنفيذ رسالته بأعظم مما كان يقوم به، فقامت الأحزاب

العلمانية التي جعلت من نفسها ما يدعونه »بالشرعية الدستورية«، فحكمـــت بعقلية بوليسية مناوئة للأمة ولعقيدتها وضربت بالحديد والنار كل دعاة الفكرة الإسلامــيــة، واعتبرتهم أعداء ليس لهم حق الدعوة إلى تحكيم شريعة الله في وضح النهار، في الوقـت الـذي فـتـحــت فـيــه المجــال لكل منهج علماني حتى ولو كان ماركسياً.
أفيدوني رحمكم الله ماذا استفاد عالمنا الإسلامي والعربـي مــن تلك الحكومات العلمانية؟ وماذا كسب من جراء تولي أولئك الحاكمين بأمرهم على مقدرات أمتنا؟ وبماذا أتوا لها من معطيات الحضارة الجديدة النافعة سوى أن جعلوا بلداننا في مؤخرة البلدان فقراً وفي ذيل القافلة تخلفاً، ولم نعد سوى أسواقاً استهلاكية للأجنبي، ومحـطـــات تجــارب للأنظمة والقوانين المستوردة ومجالاً مفتوحاً للتغريب والإفساد عن طريق وسائل الإعـــلام والتعليم، فضلاً عن تنحية شريعة الله، مما ساعد على انتشار الجريمة بمعدلات متصاعدة لها آثارها الخطيرة على حاضر الأمة ومستقبلها.
هذه بعض نتائج العلمانية في ديارنا، ومع ذلك مازالت الأبواب مشرعة لنشوء المزيد من تلك الأحزاب إياها، وعقد الندوات والحوارات معها لتكريس تلك المبادئ البـاطـلـــــة، وخـــداع الشعوب بمنطلقاتها، والحيلولة دون نشر الفكر الإسلامي الرشيد، وبعد سبعيـن عاماً مضت من غزو العلمانية لعالمنا العربي والإسلامي، لم نجد سوى قبض الريح وحصاد الهشيم.
إن عـقــــلاء الغرب في غمرة بحثهم الدائب عن مصالح بلدانهم، يقومون بعمليات غربلة وتقويم لمناهج حياتهم واتجاهات فكرهم، للبحث عن مواطن الانحراف وتقويمها، ومعرفة معوقات الطريق وتذليلها، ومعرفة خاطئ الأفكار وتصويبها.
أما علمانـيــو أمتنا فهم أكثر العلمانيين في العالم ديكتاتورية، وأبرزهم انتهازية وأشهرهم تطرفاً في التـعـصــب لآرائهم الهزيلة، حتى صار »أتاتورك الهالك« يحكم من قبره مقدرات دولة مثل تركيا، فـيـجـــرم كل دعاة الإسلام وقادة الإصلاح لمخالفتهم لما وضعه من نهج علماني أهوج، وعلى نهجه يحكم الفراعنة الصغار في بلداننا اليوم، ويقفون بكل صفاقة للحيلولة دون تحكيم شريـعـــة الإسلام بدعاوى فارغة ما أنزل الله بها من سلطان، بينما نجد الغربيين في خضم مراجعاتهم لأفكارهم وقوانينهم ومناهجهم، يضعون العلمانية نفسها في قفص الاتهام، فمنذ أكثر من شهر دعا »مركز أبحاث الديمقراطية« بجامعة »ويستمنستر« في لندن بالتعاون مع منظمة »ليبرتي« إلى ندوة عن »انهيار العلمانية والتحدي الإسلامي للغرب«، ركزت في أبحاثها على نقد الـمـشروع العلماني عبر المستويين النظري والتطبيقي، وموقف الإسلام من هذا المنهج.
وهذه الندوة لم تكن ترفاً فكرياً، ولم تصدر من فراغ، وإنما كان دافعها ما لاحظه العلماء وقادة الفكر هناك من مظاهر الانحراف والسقوط التي آلت

إليها الحياة في الغرب مما جعل الغربيين أنفسهم يهربون إلى غير العلمانية، حتى وإن كان إلى أصوليات نصرانية فضلاً عن ما عانته تلك المجتمعات من مـظـاهــــر الانحراف الخلقي الذي أدى إلى شيوع الأمراض الجنسية والمخدرات وغيرها وظهور الاتجـاهــات السياسية المتطرفة مثل النازية والفاشية والتطهير العرقي، مما يعني أن الحضارة الغربـيـة آيلة للسقوط لا محالة إذا سارت بنفس هذا المعدل في الانحراف.

وقد قام هؤلاء المفكرون في هذه الندوة بمناقشة تـلــك المظاهر المنحرفة في حياتهم، لتلمس الطريق قبل السقوط الذي حذر منه سابقاً أمثال »تويـنـبـي وشبنجلر«، وإذا نظرنا إلى واقعنا العلماني في عالمنا العربي والإسلامي، نجد أن علمانيينا الـذيــن هم من جلدتنا ويتحدثون بألسنتنا ينقصهم ذكاء أولئك الغربيين وبعد نظرهم، وهم يحـسـبــون أنهم يحسنون صنعاً،

ومظاهر مكرهم تتجلى فيما يلي:

1- التجاهل للأيدلوجية العلمانية في شقها الليبرالي، التي يتبنونـهــا لـلـتـربص والتستر والحيلولة دون أي توجه آخر حتى ولو كان الإسلام ذاته، لأنهم يعلمون أن فسح المجال له يعني سقوطهم المحتم.

2- إشاعة الفهم الكهنوتي الخاطئ للإسلام، واعتباره كأي دين محرف آخر لا يصح أن يبارح دور العبادة، وهذا جهل بالإسلام وآفاقه الحياتية المختلفة التي اكـتـشـفـهــا غير المسلمين فأسلموا، وفاقد الشيء لا يعطيه.

3- العقليات المستمرئة للباطل التي يمكن أن تتحالف مع الشيطان، وأن تتصالح مع أعدى أعــداء الإسلام، لكنها تأخذها العزة بالإثم عن الرجوع إلى الحق والاعتراف بحاكـمـيـــــة الإسلام.

4- نـفـاقـهـم لكـثـير من الحكام، ومسايرتهم في كل ما يدعون إليه، ولاسيما ما من شأنه علمنة المجتمعات، وحـثـهــم عـلــى مضايقة التيار الإسلامي وإظهاره بأنه العدو الوحيد للحاكم، ليكسبوا من تهميشه وجودهــم فـي الـسـاحـة وبخاصة في وسائل الإعلام، حيث يدعون ليل نهار إلى أن العلمانية هي الحل!!

5- النهج الميكيافيلي الذي يعني أن »الغاية تبرر الوسيلة«، فقد كانوا ماركسيين يقفون صفاً واحداً ضد الإسلام، وحينما سقطت أيدلوجيتهم صــــــاروا يهادنون الإسلام، ولكن بفهم جديد يدعونه »التنوير«، وهو للتزوير أقرب، وفي مكان آخر من هذا العدد مزيد من الفضح للعلمانيين ولطرائقهم الجديدة.

إن البقاء للأصلح مهما طالت الأيام ومهما أرجف المرجفون، ومما يثبت ذلك ترنح التجربة العلمانية في الغرب، والأعجب أن القوم عندنا يقيمون لهـــا الاحتـفــالات خداعاً وتزويراً وغشاً للأمة جمعاء، إن كل باطل لا يدوم والحق الذي لا شك فيه أن »إن المستقبل للإسلام« رغم كل المعوقات.

وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين قال: »ليبلغن هذا الأمـــر مـــا بـلـغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله في هذا الدين بعز عزيز أو بـــذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر«.
((والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)).

@مـقـال

نحـو فهم صـحيح للعقيـدة

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والـســـلام عـلـى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا شك أن العلم بالله تعالى أشرف العلوم وأزكاها وأهـمـهـا، فلا حياة للقلوب ولا نعيم، ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفـعـالـــه، ومــن ثم فإن التفقه في أصول الدين، وتعلم العقيدة وتعليمها، من أعظم المهمات، وأفضل القربات.

وهــذه الـمقالة تحوي جملة من المعالم والتنبيهات لعلها تسهم في الفهم الصحيح للعقيدة، وتعين على تحقيق فقهها تعلماً وتعليماً، فإليك تلك المعالم على النحو التالي:

إخلاص النية لله تعالى في دراسة العقيدة وفهمها:

على كل من الـمـتـعـلـم والمعلم أن يصدقا في فهم العقيدة، وأن يسعيا إلى تلقي العقيدة ابتغاء وجه الله تعالى، وطمعاً في مرضاته، ففقه العقيدة من أفضل العبادات، والعبادات يجب أن تكون لله تعالى وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ((وما أمـروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء))[البينة:5]

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:(مـن تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامـــة«) (1)، ويقول الربيع بن خثيم: »كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل«(2).

التسليم التام والتعظيم الكامل للنصوص الشرعية الدينية:

يتعين عند تلقي العقـيــدة وتدريسها أن يخضع القلـب لنصوص الوحيين فلا يعارض النص المنزل برأي، ولا ذوق، ولا مـعـقــول، ولا سياسة... لقد كان نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- يربي أصحابه رضي الله عـنـهــم على التسليم لله تعالى وتعظيم النصوص الشرعية وإجلالها، فلقد خرج -صلى الله عليه وسلم- يوماً على أصحابه وهم يقولون: »ألم يقل الله كذا وكذا؟ يرد بعضهم على بعض، فكأنما فقئ في وجهه حب الرُمّان من الغضب، ثم قال: (ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم) »(3).

قال الأوزاعي رحمه الله »من الله تعالى التنزيل، وعلى رسوله التبليغ، وعلينا التسليم«(4).

التدرج في تعلم وتعليم مسائل العقيدة:

يلزم البدء بالأولويات، وتقديم الأهم على المهم، فيراعي المتعلم والمعلم التدرج والمرحلية في التعامل مع كتب العقيدة.

فيبدأ بالمختصرات وينتهي بالمطولات، فيبدأ مثلاً »برسالة الأصول الثلاثة« للشيخ محمد بن عبدالوهاب، أو أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ حكمي، ثم ينتقل إلى كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم الواسطية لابن تيمية، ثم شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ثم التدمرية... إلى أن يصل إلى المطولات مثل أصول اللالكائي ونحوها(5).

ويعتني بتقديم الأهم على المهم، ومن ذلك أن يبدأ بتحقيق ما يجب عليه في باب الاعتقاد، فيجب على المكلف أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما أمر به الرسول ونهى عنه، بحيث يقر بجميع ما أخبر به وما أمر به، فلابد من تصديقه فيما أخبر والانقياد له فيما أمر(6).

ولذا فإن الاشتغال مثلاً بتعلم وتعليم »الأصول الثلاثة« من آكد المهمات، فيجب على كل مكلف أن يعرف ربه سبحانه وتعالى، ونبيه -صلى الله عليه وسلم- ودينه الإسلام، وهذا ما جاء في حديث جبريل المعروف حيث يتعين على المكلف تحقيقها في دنياه، كما يُسأل عنها حين يوضع في قبره، ويُسأل عنها يوم بعثه ونشره: ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين؟

الشمولية في تعلم العقيدة وتعليمها:

فلا يقتصر على تقرير مسائل في الاعتقاد مع إهمال نظيرها أو آكد منها كأن يُشتغل مثلاً بتقرير توحيد الربوبية مع إهمال توحيد العبادة، أو يُحذّر من الشرك في الدعاء والذبح والنذر، مع إهمال أو تساهل في شرك الطاعة كما هو مشاهد في واقع كثير من المسلمين الآن.

إن هذه الشمولية تحقق الأخذ بجميع أحكام الشرع، والإيمان بشعائر الدين كافة، قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة))[البقرة: 208]، وقال سبحانه: ((والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا))[ال عمران: 7]، وإن هذه الشمولية تورث إيماناً بجميع النصوص الشرعية، وتستلزم وسطية وخيرية بين الطوائف والفرق التي أهملت تلك الشمولية، حيث آمنت تلك الفرق ببعض النصوص وأخذت بها وأنكرت بقية النصوص وأعرضت عنها.

وهذه الشمولية تورث اعتدالاً في التلقي والفهم، فنسلم من ردود الأفعال، ومقابلة الانحراف بانحراف آخر كما هو حال أهل البدع والأهواء.

هكذا نتعامل مع المخالف:

ومع هذه الشمولية في التعلم والتعليم لمباحث الاعتقاد، فإن الانحرافات ظاهرة في حياتنا الحاضرة تستدعي مزيداً من التفصيل في سبيل الرد على هذا الانحراف، وكشف شبهات المخالف وتفنيدها، وهذا مسلك مأثور سلكه سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى.
»فقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله هل لهم رخصة أن يقول الرجل: كلام الله ثم يسكت(7)، فقال أحمد: ولمَ يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون«(8).
فكان الإمام أحمد وغيره من السلف يعتقدون أن القرآن كلام الله تعالى، ولما أظهر المعتزلة القول بخلق القرآن، لم يجد السلف بداً من مخالفتهم والرد عليهم، والتفصيل في ذلك، فقالوا: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق فمنه بدأ وإليه يعود.
ومثال آخر: »أن علماء الكوفة القائلين بأن الإيمـــان قــول وعمل أكثر من غيرهم في بقية الأمصار، حيث إن الإرجاء ابتداء كان فيهم أكثر، كما أن التجهم وتعطيل الصفات لما كان ابتداء حدوثه من خراسان، كثر من علماء خراسان ذلك الوقت من الإنكار على الجهمية ما لم يوجد قط لمن لم تكن هذه البدعة في بلده ولا سمع بها«(9).
والناظر إلى واقعنا يرى أنواعاً كثيرة من الانحرافات الظاهرة في باب الاعتقاد، كتولي الكفار وموالاتهم، وانتشار المذاهب الفكرية والأدبية المنحرفـــة وظهور عدة طواغيت وأرباب من أمثال مجددي ملة »عمرو بن لحي« الداعين إلى عبادة الأوثـــان والأموات، ودعاة تحكيم القوانين الوضعية والدساتير الأرضية... وغيرها.
ومع خطر هذه الانحرافات وشناعة أثرها فإن الجهود المبذولة تجاهها قليلة محدودة، وفي المقابل فإن جهوداً كبيرة ومؤلفات كثيرة تصرف في تحصيل حاصل، وتقرير أمور اعتقادية هي محل اتفاق بين المسلمين الآن.

أهمية تحقيق الحدود والتعريفات:

من المعالم المهمة في فهم العقيدة: الاعتناء بالتعريفات، والـعـلـم بحدود ما أنزل الله تعالى على رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فعلى المعلم والمتعلم أن يـهـتـمــا بتحـقـيــق الحدود والتعريفات لمصطلحات الاعتقاد مثل الإيمان والنبوة والمعجزة... الخ بحيث تكون جامعة مانعة، فلا يدخل فيها ما ليس منها، ولا يخرج منها ما هو داخل فيها، فيتوصــل إلى التصور الصحيح لتلك المصطلحات، ومن ثم يعرف ضرورة ما يناقض تلك المصطلحات.
ومن ثم فإن المعرفة الصحيحة لحد الإيمان مثلاً يورث علماً صحيحاً في معرفة حــد الكفر الذي يناقض الإيمان، فإذا كان الإيمان قولاً وعملاً، فكذا الكفر قول وعمل، ولما ضــــل المرجئة في معنى الإيمان فجعلوه تصديقاً فقط أورثهم ذلك ضلالاً آخر عندما حصروا الكفر في التكذيب فحسب.

وهناك جملة من أقوال أهل العلم في بيان أهمية هذا الـمَـعْـلَـم:

يقول ابن تيمية: »الألفاظ الشرعية لها حرمة، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته، وينفي ما نفاه من المعاني، فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل مـــا أخبر، ونطيعه في كل ما أوجب وأمر...«(10).
ويقول ابن القيم: »معرفة منازل العبودية ومراتبها من تمام معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، وقد وصف الله تعالى من لم يعرفها بالجهل والنفاق فقال تعالى: ((الأعراب أشد كفراْ ونفاقاْ وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله))[التوبة: 97]، فبمعرفة حــدودهـــــا دراية، والقيام بها رعاية يستكمل العبد ويكون من أهل إياك نعبد وإياك نستعين«(11).
ويقول أيضاً: »فـمــــن أشرف العلوم وأنفعها علم الحدود، ولاسيما حدود المشروع المأمور والمنهي، فأعلم الناس أعلمهم بتلك الحدود حتى لا يدخل فيها ما ليس منها، ولا يخرج منها ما هو داخل فيها...«(12).
ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: »اعلم أن مَنْ تصور حقيقة أي شيء على ما هو عليه في الخارج، وعرف ماهيته بأوصافها الخاصة، عرف ضرورة ما يناقضه ويضاده، وإنما يقع الخفاء بلبس إحدى الحقيقتين، أو بجهل كلا الماهيتين، ومع انتفاء ذلك وحصول التصور التام لهما، لا يخفى ولا يلتبس أحدهما بالآخر، وكم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة، وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمة«(13).

مثالان مهمان:

من التنبيهات المهمة في هذا الموضـــوع: معرفة منشأ النزاع وأصله في أبواب الاعتقاد التي وقع فيها الافتراق، فإن معرفة ذلك يورث فهماً صحيحاً، ويميز المذهب الحق من المذاهب الباطلة، كما يعطي تـصـــــوراً صــائباً لأقوال المخالفين وأوجه الاتفاق والاختلاف معهم، وأضرب لذلك مثلين:
أحدهما مسألة الإيمان فالأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان هو دعوى أن الإيمان حقيقة واحدة لا تتبعض ولا تتـجــزأ، فمتى ذهب بعضه ذهب كله فلم يبق منه شيء.
يقول ابن تيمية: »وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان مـــــن الخـوارج والـمــــرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم، أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه، وبقاء بعضه، كما قـــــال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان) »(14)«(15).
والمثال الآخر: أصل الضلال في مسألة القدر هو التسوية بين مشيئة الله تـعـالـى وإرادته، وبين محبته ورضاه، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً وقالت القدرية النفاة ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة فهي خارجة عن مشيئته وخلقه(16).

هذا ما تيسر إيراده من معالم وتنبيهات في فهم العقيدة، راجياً من الله تعالى أن يعين على استكمالها، وبالله التوفيق.

هـوامـش:

(1)صحيح ابن ماجة ج1، ص 48 ؛ المسند ج2، ح/238 ؛ وصحيح أبي داود ج 2، ص 697، وقال الألباني صحيح.
(2)سير أعلام النبلاء 4/259، وجاء في حلية الأولياء (3/176) عن محمد بن الحنفية.
(3)أخرجه أحمد والترمذي.
(4)التمهيد لابن عبدالبر 6/14.
(5)انظر: كتاب برنامج عملي للمتفقهين، لعبد العزيز القارئ، ص 40.
(6)انـظــر تفصيل ذلك في مجموع الفتاوى لابن تيمية 3/312، 327، ودرء تعارض العقل والنقل 1/51، وشرح الطحاوية 1/7.
(7)يعني حال الواقفة الذين يقولون: القرآن كلام الله، ويـسـكـتـون فلا يقــولـــون مخلوق كالمعتزلة والجهمية ولا يقولون غير مخلوق كأهل السنة، وقــد عـدهــم الـسـلــف من الجهمية، بل شر من الجهمية، لما يتضمنه سكوتهم من اللبس والتضليل.
(8)مسائل الإمام أحمد لأبي داود، ص 263.
(9)مجموع الفتاوى 7/311.
(10)مجموع الفتاوى 12/113.
(11)مدارج السالكين 1/140.
(12)الفوائد: 133.
(13)منهاج التأسيس: 13.
(14)البخاري ج1، ص 11، كتاب الإيمان ح/15، مسلم كتاب الإيمان ح/148.
(15)مجموع الفتاوى 7/510.
(16)انظر مدارج السالكين 1/251، شرح الطحاوية 1/324.

مـقـال

العلماء ومسؤولية البلاغ

عـبـد اللطـيـف الـوابـل

إن مـن يتأمل سـنة الله في الأمم الـماضـية، ويقرأ تاريخ هذه الأمة المسلمة يصل إلى حقيقة واحدة هي أنه كلما ضلت أمة من الأمم عــن الـحـــق، وابتعدت عن الهدى، وقادها أهل الزيغ والضلال، وتحكم في شؤونها المفسدون، فإن مـــن سـنـة الله أن يبعث فيها نبياً من الأنبياء يبين الحق للناس، ويكشف الباطل وأهله ويحمل راية الإصلاح والجهاد، صابراً على ما يصيبه من الأذى.

كان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يدعون أقوامهم إلى الحق ويطالبون رؤساءهم من الملأ بالإذعان والطاعة لأمر الله وحكمه، وتحكيم شرعه في كـــل شؤون الحياة، ويكشفون للناس الباطل القائم، وخذ مثلاً لذلك قصة شعيب عليه السلام مـــع قومه حيث ذكر الله عنه بأنه دعا قومه إلى الالتزام بشرع الله، ونهاهم عن البغي والفســاد، قال تعالى: ((وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط، ويا قوم أوفوا الـمـكـيـــال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)) [هـود: 84، 85]، فجمع عليه السلام في دعوته بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يـقـتـصـــــر على العبادة الفردية، بل دعاهم إلى إصلاح شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية، وهذا معلم واضح من معالم دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الدعوة المتكاملة التي تقتضي التغيير الشامل لجميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ليكون الدين كـلــه لله، فلم يكن أنبياء الله بمعزل عن واقع قومهم، ولم ينشغلوا بقضية الأفراد عن قضايا الملأ وعن مظالم المجتمع.

ولما بعث الله محمداً -صلى الله عليه وسلم- أنزل عليه القرآن ليكون كتاب هداية ومنهج حـيـــاة آمنة مطمئنة، فمن يقرأ القرآن يجد أنه منهج شامل يوجه حياة الناس في جميع جوانـب الحـيــاة، فقد حمل -صلى الله عليه وسلم- أمانة الرسالة، ودعا الناس إلى كل خير وفضيلة، ونهى عن كل سوء ورذيلة: أمر بإقامة العدل ونشره بين الناس، ودعا إلى إقامة شعيرة الأمـــــر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحارب كل أنواع الظلم والعدوان سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات، ولم تقتصر توجيهات القرآن على الجوانب الشخصية لحياة الأفراد، بل شملت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وحيث إن محمداً -صلـــى الله عليه وسلم- هو خاتم الأنبياء إذ لا نبي بعده، فقد حمل المسؤولية بعده العلماء الصـــادقـــــون كما ورد بذلك الأثر: »وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحـيـتـان في الماء، وفضل العالم على العامة كفضل القمر على سائر الكواكب والعلماء ورثة الأنـبـيـــاء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر«(1).

هذه المسؤولية التي تحملها علماء الأمة الربانيون طوال تاريخ الإسلام كانت بمثابة السور الآمن الذي حمى الأمة من عواصف الانحلال والفساد، ولا شك أن الناس بدون العلماء جهال، تتخطفهم شياطين الإنس والجن، من كل حدب وصوب، وتعصف بهم الضلالات والأهواء من كل جانب، ومن هنا كان العلماء من نعمة الله على أهل الأرض، فهم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى.

والعلماء الذين أعنيهم هم العلماء الربانيون الجريئون في قول الحق المحبون الخير للأمة، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والمحاسبون للولاة،

الناصحون لهم بالحق، الذين اتصفوا بخلق المرسلين، يقولون للظالمين ظلمتم وللمفسدين أفسدتم، لا يخشون أحداً إلا الله سبحانه، ولا يسكتون عن حق واجب إذاعته، ولا يكتمون حكماً شرعياً في قضية أو مشكلة سواء أكانت متعلقة بشؤون الأمة أم بعلاقات الدولة، إذ صلاح الأمة منوط بصلاح العلماء وقيامهم بواجبهم.

صفات أولئك العلماء:

ولهذه النوعية العظيمة من العلماء صفات يتسمون بها، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1- الإخلاص في القول والعمل:

وهو أن يريد العالم بعلمه وجه الله والدار الآخــرة، في الحديث: »لا تَعَلّموا العلم لتباهو به العلماء أو تماروا به السفهاء، ولا لتجترئوا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار«(2)، وإن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة رجل تعلم العـلـــم وقرأ القرآن لغير الله، وفي الحديث الآخر: »من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا لصيب به عرض الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة«(3).

2- العلم بما علم ودعوة الناس إلى ذلك:

فإنه لا فائدة من علم لا يتبعه العمل، ولهذا فإن العلماء العدول تجد علمهم في حركاتهم وسكناتهم وصمتهم وكلامهم ومواقفهم، يقول الإمام عـلـــي رضي الله عنه يا حملة العلم اعملوا به، فإن العالم من عمل بما علم فوافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوزر تراقيهم، يخالف علمهم عملهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقاً حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جـلـيـســه إذا جلس إلى غيره وتركه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: »لاتزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعــــن شبابه فيما أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وماذا عمل فيمَ علم«(4).

3- خشية الله ومراقبته في القول والعمل:

قال سفيان الثوري: إنما يطلب الحديث ليتقى به الله، قال ابن عبدالبر: وليعلم المفتي أنه موقع عن الله أمره ونهيه، وأنه موقوف ومسؤول عن ذلك وعــن مالك رحمه الله أنه كان إذا سئل عن مسألة كأنه واقف بين الجنة والنار، وقال بعض أهل العلم لبعض المفتين: إذا سئلت عن مسألة فلا يكن همك تخليص السائل، ولكن تخليص نفسك أولاً«.

4- قول الحق وإظهاره:

ومن أهم واجباتهم الرد على شبهات أهل الزيغ والضلال وإنكار المنكرات المعلنة الظاهرة وبيان خطرها، وإعلام الأمة بذلك، وعدم التدليس عليهم لئلا يتخذ الناس سكوت العلماء عن المنكر الظاهر والظلم والبغي حجة في اعتقاد أن ذلك حق لاسيما مسائل الاعتقاد: كالحكم بغير ما أنزل الله مثل القوانين الوضعية واستحلال ما حـــرم الله وتقنينه وإلزام الناس به، وموالاة المشركين ومظاهرتهم على المسلمين، التي يترتب عـلـى السكوت عنها ضياع الفهم الصحيح لدين الله واندراسه، وانقلاب الحق باطلاً والباطل حـقــاً في نفوس عامة الناس، مما لا يجوز السكوت عليه.. هذا البيان للحق هو الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم بقوله: ((وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكـتـمـونــه فـنـبـذوه وراء ظـهــورهم واشتروا به ثمناْ قليلاْ فبئس ما يشترون))[ال عمران: 187] إن العلماء هم أقدر الناس على قول الحق وبيانه لاسيما ما يتعلق بأعمال الولاة والحكام، مما تكون مفسدته عامة على جميع الأمة.

5- التعاون والتشاور والتناصح:

وذلك بتبادل الرأي والـمـنــاداة إلى اجتماع كلمة المسلمين على الحق حتى تتحقق المصالح العامة، ولا شك أن العلماء هم أولى الناس بجمع كلمة المسلمين، إذ الأمة إنما تجتمع على علمائها فإذا اجتمعت كلمة العلماء، وتوحدت وحصل بينهم التعاون والتناصح، فإن ذلك أدعى إلى اجتماع الأمة وتعاونها وتضامنها في وجه عدوها.

6- مناصرة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها:

إن مسؤولية العلماء ليست محـصــورة بقطر أو ببلد بل ينبغي أن يعيشوا ويعايشوا هموم الأمة، ويناصروا المسلمين، ويردوا على أعدائهم ويرفعوا الظلم عنهم بما يستطيعون، لا يخشون في ذلك أحداً إلا الله سبحانه، وذلك أسوة بنبيهم محمد -صلى الله عليه وسلم-، وإن دعوتهم ورسالتهم لا ينبغي أن تحصرها الأقطار ولا الجنسيات لاسيما في أيام الفتن وظهور البدع وانتشار الفساد والظلم والعدوان...

7- كشف سبيل المجرمين:

وذلك بتحذير الأمة من خطر أصناف المجرمين، وطرق الظالمين وخداع المنافقين، وهذا هو جزء من بيان الحق وإظهاره، وكما قيل: »وبضدها تتبين الأشياء«، والعلماء هم أعرف الناس بشبه المنافقين وخفاياهم، الذيـــن يمثلهم اليوم بكل وضوح أصناف العلمانيين، ولهذا أمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- بجهاد المنافقين، وكشف سبيلهم لتحذر الأمة من الوقوع في غوائلهم، ومن الانخداع بمظاهرهم الكاذبة.

8- الحذر من مجالسة أهل الأهواء:

أولئك القوم الذين لاتزال آثار الهوى والحسد تظهر في أقوالهم وأعمالهم، فهم باب فتنة في كل زمان ومكان ومفتاح شـــر على الأمة في السابق واللاحق، وهل ما أصاب الإمام أحمد، وابن تيمية وغيرهما من علـمـــاء الأمة إلا بسبب هذا الصنف من الناس؟ والأصل في علماء الأمة أن يتولوا الرد على أهـــل الأهواء، ويحذروا الناس من مخالطتهم ؛ لأن الناس تبع لعلمائهم، فإذا رأوا علماءهم يلاطفون أهل الأهواء، فإنهم يقعون في شباكهم ويظنون أن ما عندهم هو الصواب!!

إن علـمـاء المسلمين هم الذين كانوا يـقـــــودون حملات الجهاد ويرفعون رايات الإصلاح، ويدافـعـــون عن حقوق أمتهم، فلم ينزلوا في مساجدهم أو منازلهم أو يقتصروا على تدريس طلابهم، وإفتاء الناس في قضاياهم الخاصة من طلاق ووضوء وصلاة وبيع وشراء وغيرها مع أهمية ذلـك كـله، بل كانوا يعلمون أن مسؤوليتهم أكبر من ذلك بكثير، وأن واجبهم تجاه الأمة يتعدى هـــــذه الأمور كلها ليصل إلى منــاصرة المسلمين، ومناهضة الكافرين، وكشف ضلال الفاسقين ورد الظـالـمـين عن ظلمهم، وحماية شرع الله من التحريف أو التعديل ونبذ التحاكم إلى القوانين الوضعية أو التلاعب بأوامر الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- .

اللهم وفق علماء المسلمين إلى الصواب، وثبتنا وإياهم على الحق، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

والله من وراء القصد.

هـوامـش:

(1)رواه أبو داود 4/57 ح 2641، وصححه الألباني في صحيح الجامع 2/1079 ح 6297.

(2)صححه الألباني في صحيح الجامع 2/1229 ح 7370، وعزاه للبيهقي وابن ماجة والحاكم في المستدرك.

(3)رواه أبو داود 4/71 ح 3664، وصححه الألباني في صحيح الجامع 2/1060 ح 6159.

(4)رواه الترمذي 4/612 ح 2416، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 2/1220 ح 7299.

دراسات في العقيدة

دلائل محبـة الرسـول صلى الله عليه وسلم بين السنة والبدعة

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

إن محبة الرسول -صلى الله علـيـه وسلم- أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.
* قال الله تعالى: ((قل إن كان آباؤكم وأبـنـاؤكـم وإخــوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحـب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين))[التوبة:24].
قال القاضي عياض في شرح الآية: »فكفى بهذا حضاً وتـنـبـيـهــاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها -صلى الله عليه وسلم-، إذ قرّع الله من كان ماله وأهله وولده أحـب إليه من الله ورسـوله وتوعدهم بقوله تعالى: ((فتربصوا حتى يأتي الله بأمره))، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله« (1).
* وقال الله تعالى: ((النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم))[الأحزاب: 6].
* وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »لا يؤمن أحدكم حتى أكــون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين« (2).
* وقال أيضاً: »والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إلـيـه من والده وولده« (3).
* وعــن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »لا والــذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك«، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: »الآن يا عمر« (4).

آثـار محـبته -صلى الله عليه وسلم-:

المحبة عمل قـلـبـي اعتقادي تظهر آثاره ودلائله في سلوك الإنسان وأفعاله ومن علامات ذلك:

أولاً تعزير النبي -صلى الله عليه وسلم- وتوقيره:

قال الله تعالى: ((إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً))[الفتح:9].
ذكر ابن تيمية أن التعزير: »اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه«. والتوقير: »اسم جامع لكل ما فـيـه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار« (5).

وتوقير النبي -صلى الله عليه وسلم- له دلائل عديدة، منها:

1 -عدم رفع الصوت فوق صوته:

قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون))[الحجرات: 2].

وعن السائب بن يزيد قــال: »كـنــت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما مــن أهــل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ص« (6).

2 -الصلاة عليه:

قال الله تعالى: ((إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً))[الأحزاب: 57].

قال ابن عباس: يصلون: يُبرّكون (7).

وفـي الآية أمر بالصلاة عليه، والأمر يقتضي الوجوب، لهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصل عليّ« (8).

وقال: »رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ« (9).

ثانياً الـذ ب عنه وعن سنته:

إن الـذب عــن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونصرته، آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال، قال الله تعالى: ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون))[الحشر: 8].

ولقد سطر الصـحـابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الذب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفـدائـه بالأموال والأولاد والأنفس، في المنشط والمكره، في العسر واليسر، وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم التي تدل على غاية المحبة والإيثار، وما أجمل ما قاله أنس بن النضر يـوم أحــد لـمـا انكشف المسلمون: »اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صـنــع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النـضـر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه (10).

ومــن الذب عن سنته -صلى الله عليه وسلم-: حفظها وتنقيحها، وحمايتها من انتحال الـمـبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ورد شبهات الزنادقة والطاعنين في سنته، وبيان أكاذيبهم ودسائسهم، وقد دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالنضارة لمن حمل هــذا اللــواء بقوله: »نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مُبلّغ أوعى من سامع« (11).

والتهاون في الذب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو الذب عن سنته وشريعته، من الـخـــذلان الذي يدل على ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وعرضه وسنته، فهو كاذب في دعواه.

ثالثاً تصديقه فيما أخبر:

من أصول الإيمان وركائزه الرئيسة، الإيمان بعصمة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلامته من الـكـــذب أو البهتان، وتصديقه في كل ما أخبر من أمر الماضي أو الحاضر أو المستقبل، قال الله تعالـى: ((والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى))[النجم: 14]. والجفاء كل الجـفـــاء، بـل الكـفـــر كل الكفر اتهامه وتكذيبه فيما أخبر، ولهذا ذم الله المشركين بقوله: ((وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالـمـيــن، أم يقـولون افتراه قل فأتوا بسـورة مثله وادعوا من اسـتطعتم من دون الله إن كنتم صـادقـيـــن بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين))[يونس: 37-39].
ومن لطائف هذا الباب التي تدل على منزلة الشيخين الجليلة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه: »بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله! قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما« (12).

رابعاً اتباعه وطاعته والاهتداء بهديه:

الأصل في أفعال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأقواله أنهـــا للاتباع والتأسي، قال الله تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً))[الأحزاب: 21].
قـــال ابن كثير: »هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فـي أقـــواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل« (13).
وجاء أمر الله سبحانه وتعالى في وجوب طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)) [الحشر: 7].
وجعل الله عز وجل طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من طاعته سبحانه، فقال: ((من يطع الرسول فقد أطاع الله))[النساء: 80].

وأمر بالرد عند التنازع إلى الله والرسول، فقال: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)) [النساء: 59].
وتواتــرت الـنـصـوص النبوية في الحث على اتباعه وطاعته، والاهتداء بهديه والاستنان بسنته، وتعظيم أمـــــره ونهيه، ومن ذلك قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: »فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشـديــن الـمهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة« (14).
وقال -صلى الله عليه وسلم-: »صلوا كما رأيتموني أصلي« (15).
وقال: »لتأخذوا عني مناسككم« (16).
فطاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- هي الـمـثـال الحي الصادق لمحبته عليه الصلاة والسلام فكلما ازداد الحب، زادت الطاعات، ولـهــذا قال الله عز وجل: ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله))[ال عمران: 31].
فالطاعة ثمرة المحبة، وفي هذا يقول أحد الشعراء:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه ... ذاك لعمـري في القياس بديع
لو كان حـبك صادقاً لأطعته ... إن المحـب لمن أحـب مطيع

خامساً التحاكم إلى سنته وشريعته:

إن التحاكم إلى سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- أصـــل من أصول المحبة والاتباع، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويسلم تسليماً، قال الله تعالى: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فـيـمــا شـجـــر بـيـنـهـم ثــم لا يجـــــدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً))[النساء: 65].
وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من علامات الزيغ والنـفــاق الإعـــراض عن سنته، وترك التحاكم إليها، قال الله تعالى: ((ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمـنــوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرســـــول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً)) [النساء: 60،61].

الغلو في محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم-:-

انـحـــــرف بعض الناس عن هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأحدثوا في دين الله عز وجل ما ليس منه، وغيروا وبدلوا، وغلوا في محبتهم للرسول -صلى الله عليه وسلم- غلواً أخرجـهــــم عن جادة الصراط المستقيم، الذي قال الله عز وجل فيه: ((وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله))[الأنعام: 153].

وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حريصاً على حماية جناب التوحيد، فكان يحذر تحذيراً شديداً من الغلو والانحراف في حقه، ودلائل ذلك كثيرة جداً منها:
* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: »لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله« (17).
* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »لعنة الله على اليهــود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد إلا أني أنهاكم عن ذلك يحذر ما صنعوا« (18).
* وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: »جعلتني لله عدلاً، بل قل ما شاء الله وحده« (19).
* وعن أنس أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سـيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل« (20).
ونظائر هـــــذه النصوص كثيرة جداً، وثمرتها كلها بيان أن محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتعظيمه لا تكون إلا بالهدي الذي ارتضاه وسنه لنا، ولهذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام: »من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ« (21).

حقيقة المولـد النبـوي:

ظهرت هذه الفكرة في عصر الدولة العبيدية الباطنية، إظهاراً منهم لدعوى محبة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم انتشرت في كثير من دول العالم الإسلامي، إلى يومنا هذا فأصبح اليوم الثاني عـشـر من شهر ربيع الأول عيداً مشهوداً عند كثير من المبتدعة يجتمعون فيه لإنشاد المدائح النـبـويــة والأوراد الصوفية، وإقامة الحفلات والرقصات، وقد يقترن بذلك بعض الشركيات من دعـــــاء النبي -صلى الله عليه وسلم- والاستغاثة بـه، وقد يحدث الاختلاط بين الرجال والنساء والاستماع إلى الملاهي.
إن تحويل الإسلام إلى طـقـــوس وثـنـيـــة من الأهازيج الشعرية والطبول والمزامير والتمايل والرقص، وبالتالي الانحراف بـه عن صفائه ونقائه، هو من قبيل جعله إلى العبث والخرافة أقرب منه إلى الدين الحق.
وحينما تكون هذه العقلية الساذجة المـنـحـرفـــــة حاكمة للعالم الإسلامي يكون رد الفعل الرئيس لدخول خيول نابليون إلى الأزهر الشريف هو اجتماع الشيوخ للتبرك بقراءة حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- من صحيح البخاري! وكلما ازدادت الدائرة على المسلمين ازدادت الدروشة، وتمايلت الرؤوس وبحت الأصوات بالأناشيد والأوراد والمدائح النبوية.

إن الاحتفال بالمولد النبوي أصبح عند بعض الناس من العامة والخاصة الآية الرئيسة لمحبة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأذكر أنني كنت قبل سنوات في بلد إسلامي في أوائل شهر ربيع الأول، والناس منهمكون في التجهيز والإعداد لليوم الثاني عشر، تحدثت مع أحد كبار الأساتذة الجامعيين عن هذه البدعة، وبعد أن بح صوتي بذكر الأدلة والشواهد، قال لي: هذا صحيح، ولكن هذا سيدنا النبي!! عندها تذكرت قول غلاة الصوفية: »من أراد التحقيق فليترك العقل والشرع!« (22)، وصدق ابن تيمية حينما قال عن غلاتهم: »كلما كان الشيخ أحمق وأجهل، كان بالله أعرف، وعندهم أعظم«(23).

ومن المفارقات التي تدعو إلى التأمل، أن بعض الناس قد يعصى النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلاً ونهاراً، ويتهاون في تعظيم أوامره، فضلاً عن الالتزام بسنته، ومع ذلك فهو يحتفي بيوم المولد، ويوالي فيه ويعادي، وكأن غاية الحب عنده هو إحياء هذا اليوم بالمدائح والأوراد، وبعد ذلك ليفعل ما يشاء...؟! يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: »من تتبع التاريخ يعلم أن أشد المؤمنين حباً واتباعاً للنبي -صلى الله عليه وسلم- أقلهم غلواً فيه ولاسيما أصحابه رضي الله عنهم ومن يليهم من خير القرون، وأن أضعفهم إيماناً وأقلهم اتباعاً له هم أشد غلواً في القول وابتداعاً في العمل«.

وليس عجيباً أن يحظى هذا اليوم باحتفاء رسمي من الحكومات العلمانية وتسخر له كافة الإمكانات الرسمية، وتجري تغطية فعالياته من جميع وسائل الإعلام، لأنها تعلم يقيناً أن غاية هؤلاء الدراويش لا تتجاوز الأوراد والمدائح حتى إن النذور والقرابين التي ترمى على القبور والأضرحة والمزارات أصبحت مصدر دخل رئيس لوزارات الأوقاف والسياحة، ولهذا كان حافظ إبراهيم يقول متهكماً:

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف يرزق الأموات
من لي بحظ النائمين بحفرة قامت على أحجارها الصلوات؟!(24)

إن محبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، ثمرتها الاقتداء والبذل والعطاء والتضحية والجهاد في سبيل نصرة دينه وإعلاء لوائه وحماية سنته، ولا يوجد بين محبي الرسول -صلى الله عليه وسلم- مكان للعجزة النائحين، وما أجمل قول أنس بن النضر رضي الله عنه لما مر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: ما تصنعون في الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه«(25).

هوامش:

(1)الشفا بتعريف أحوال المصطفى 2/18.
(2)أخرجه البخاري 1/58، ومسلم 1/67.
(3)أخرجه البخاري 1/58.

(4)أخرجه البخاري 11/523.
(5)الصـارم المسلـول على شـاتم الرسـول ص422.
(6)أخرجه البخاري 1/560.
(7)أخرجه البخاري تعليقاً مجزوماً به 8/532.
(8)أخرجه أحمد 201، والترمذي 5/551.
(9)أخرجه أحمد 2/254، والبخاري في الأدب المفرد ص 220، والترمذي 5/550.
(10)أخرجه البخاري 6/21 و 7/354.
(11)أخرجه أحمد 1/437، والترمذي 5/34، وابن ماجة 1/85.
(12)أخرجه البخاري في عدة مواضع منها: 6/152 و 7/18 و 42.
(13)تفسير القرآن العظيم 3/475.
(14)أخرجه أحمد 4/126،127، وأبو داود 5/13-15، والترمذي 5/44، وابن ماجة 1/16.
(15)أخرجه البخاري 2/111 و 10/438.
(16)أخرجه مسلم 2/943.
(17)أخرجه البخاري في عدة مواضع منها 6/478.
(18)أخرجه البخاري 8/140، ومسلم 1/377.
(19)أخرجه أحمد 1/214 و 283 و 347.
(20)أخرجه أحمد 3/153 و 241.
(21)أخرجه مسلم 3/1344.
(22)مجموع الفتاوى 11/243.
(23)مجموع الفتاوى 2/174.
(24)الديوان، ج1، ص 318.
(25)أخرجه البخـاري 6/21 و 7/355 ومسلم 3/1512.
* من تعليقاته على كتاب »صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان« للسهسواني.

خواطر في الدعوة

((كذلك لنثبت بـه فـؤادك*))

محمـد الـعـبـدة

يشتكي كثير من العاملين في حـقــل الـدعـوة الإسلامية من ظاهرة الفتور(*) التي تفشت في السنوات الأخيرة، واعتورت كثيراً ممن كـان يرجى نفعه، ويؤمل خيره، وإذا كانت هذه الظاهرة طبيعية أحياناً لما جُبل عليه الإنسان من الضعف فإنها تبدو غير ذلك عندما تتكرر وتستمر، وعندئذ فهي جديرة بالتأمل ومعرفـــــة الأسباب والدوافع، وإن من أكبر أسبابها والله أعلم عدم التجديد

في العمل الإسلامي، والانتقال به من مرحلة إلى أخرى، من حالة الضعف إلى القوة ومن قلة العلم إلى الرسوخ فـيـــه، ومن التأصيل النظري إلى الواقع العملي ومن التخطيط الجزئي إلى التخطيط الشامل، فإن هذا مما يرفع الروح المعنوية عند المسـلم، بل ويزيد إيمانه، وعنـدها يكون أقـوى على دفع عـمـلـيــة التغيير فهي علاقة جدلية كما يقال، وإن ما نراه أحياناً من الجمود على فكر معين قاله أحد الدعاة أو المفكرين قبل عقود من السنين، يدعو إلى الأسف، فما يصلح لفترة الأربعينات والخـمـسـيـنــات قــد لا يصلح اليوم، وما كُتب في تلك الفترة وما بعدها بقليل حول الاجتهادات في أساليب الدعـوة، أو طرح بعض الشعارات ليس كله صحيحاً، وهؤلاء الدعاة وإن كان لهم فضل السبق، ولـكـن الــحـق أحق أن يتبع، وقد رأينا عجباً ممن يتصدى للدعوة، يقول لك: قال فلان، وكتب فلان، وكـأنـــه لم يزدد منذ عشرين سنة حرفاً من العلم، ولا يدري ماذا جَد على الساحة الإسلامية.
وإذا تتبعنا حـــال الدعوة في عصر الرسالة نجد أنها في تقدم مستمر، ليس فيـه تراجـع، فالمسـلمون يزدادون عـــــدداً، والدعـــوة تكسب شخصيات مهمة وتجد لها ملجأ آمناً في الحبشة، ويتعاطف معها بعض أشراف قــريـــش في حصار الشعب، ثم تأتي بيعة العقبة الكبرى منعطفاً مهماً للدعوة، فالهجرة إلى دار الإسلام (المدينة).
كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينقل الـمـسـلمين خطوة خطوة على طريق التمكين فالمرحلة المكية كانت إعداداً للمرحلة المدنية، بل كل مرحلة سواء أكانت في الفترة المكية أو المدنية كانت نقطة انطلاق إلى ما بعدها، وكلما مارس الفرد واجباً ازداد قوة واستعداداً، وقويت آماله، وشعر بالرغبة في العمل، وكان القرآن يـنـزل منجـمـاً ليثبت قلب الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويعيش المسلمون مع القرآن واقعاً عملياً، يُقوّمـهـــم وينتقل بهم في عملية تربوية إلى الحال التي وصل إليها الصحب الكرام.
إذا كان الإسلام هو الحق وغيره هو الباطل، فلماذا وجد هذا الواقع الذي نحن فيه لولا أن في الأمر خللاً في معرفة وجوه المصالح والمفاسد، ونقصاً في القيادات التي تنقل المسلمين إلى المرحلة المناسبة، ولعله عندئذ تُشفى صدور قوم مؤمنين.

الهوامش :

* سورة الفرقان: آية 32.
(2)ونعني بها: التراخي والتباطؤ بعد الجد والنشاط، فتهن العزيمة عن المضي قدماً لعارض يمنعها. وانظر ما كتبه الشيخ الدكتور ناصر العمر حول هذه الظاهرة في كتابه: الفتور: المظاهر والأسباب والعلاج.

دراسات اقتصادية

المشكلة الاقتصادية وعلاجها من المنظور الإسلامي
- 3 -

د. محمد عبد الله الشبـاني

في الحلقتين السابقتين ناقشنا جانـب مــن جوانب المشكلة الاقتصادية، وهو جانب الندرة في الموارد الطبيعية، وأوضحنا المنهج الإســلامي في معالجة هذا الجانب، وفي هذه الحلقة سوف نناقش الجانب الثاني من جوانب الـمـشكلة الاقتصادية، والمتمثل في نمطية ونوعية توزيع عناصر الإنتاج على أفراد المجتمع أي تحـديــد مـصــادر الدخول الفردية وقواعد اكتسابها وتوزيعها وأنصبة عناصر الإنتاج في الدخل.

يرتبط حل المشكلة الاقتصادية بالأساس الذي يتم بموجبه تحديد العائد الأفضل للتكاليف المدفوعة على عوامل الإنتاج، ومدى تأثير ذلك على عرض الـمـسـتـخـدمــات الإنتاجية، وبالتالي فإن المشكلة الاقتصادية ترتبط بالأسلوب والمنهج الذي يتم بـه معالجــــة توزيـــع المدفوعات على مختلف عوامل الإنتاج.

مفهوم نظرية التوزيع:

تـقــوم نظرية التوزيع وفقاً للمفهوم الاقتصادي على تحديد مستوى المدفوعات بالنسبة إلى مختـلــــف عـوامـل الإنتاج، فنظرية التوزيع وفق المفهوم الاقتصادي المعاصر تهتم بكيفية الحصول على عائــد أفضل للتكاليف المدفوعة على عوامل الإنتاج، الذي بدوره يؤثر على عرض المستخدمات الإنتاجية.

تتدخل المفاهيم الاعتقادية والتنظيمية في تحديد رؤية النظام الاقتصادي للعلاقات التأثيرية لعوامل الإنتاج في بناء نظرية التوزيع في التطبيق العملي، من تلك المفاهيم التي لها تأثير في التمييز بين مختلــف الأنظمة الاقتصادية: كيفية توزيع الناتج الصافي للدخل بين مختلف عوامل الإنتاج.

إن القواعد والضوابـط التي يتم وضـعـهـــا من قبل النظم الاقتصادية لها تأثير على حركة عناصر الإنتاج، فمثلاً النظرة التي يتبناهـا النظام الاقتصادي تجاه عنصـر العمل ودوره في عمليـة الإنتاج، والأساليب المستخدمة في تحـريـكـــــه وكذا بقية عوامل الإنتاج الأخرى، تحدد التمايز والاختلاف بين مختلف الأنظمة الاقتصادية فيما يتعلق بكيفية توزيع الناتج القومي على مختلف عوامل الإنتاج.

تمثل أهم جوانب المشكلة الاقتصادية في الأساليب التي تتبناها نظرية التوزيع لمجـمــوع النواتج الصافية للدخل، ممثلاً في مقدار دخل الفرد (أي نـصـيـبـه

الـــــذي ينالــه نظراً لاشتراكه في الإنتاج، سواء بعمله أو بملكيته أو بهما معاً، تتأثر هذه الأساليب التي يتبعها الـنـظـــام الاقتصادي لأي مجتمع من المجتمعات بالفلسفة التي يسعى النظام الاقتصادي لترسيخ مفاهيمها فيما يتعلق بالنظرة إلى أي عنصر من عناصر الإنتاج.

يقصد بمفهوم التوزيع وفق النظرة الاقتصادية، عملية تحديد حصص عناصر الإنتاج في دخل المجتمع والتي تشتمل على جانبين هما:

1- التوزيع الشخصي، أي توزيع ملكية عناصر الإنتاج على أفراد المجتمع.

2- التوزيع الوظائفي، ويقصد به تحديد أنصبة عناصر الإنتاج في الدخل القومي على أساس الوظيفة التي أداها كل عنصر في تحقيق هذا الدخل.

إن المشكلة الاقتصادية في جانبها التوزيعي تقوم على أساس تحديد مصادر الدخول الفردية، فالنظام الرأسمالي الذي أصبح السمة المسيطرة بعد سقوط النظام الاشتراكي يحدد مصدر الدخل من العمل ومن عوائد التملك، مع قصور النظام الرأسمالي في وضع القواعد المحددة لاكتساب الملكية أو توزيعها مما أدى إلى سوء توزيع الملكية بين أفراد المجتمع والذي بدوره أدى إلى سوء توزيع الدخول بينهم فيما يتعلق بالتوزيع الشخصي، أما التوزيع الناشيء عن مساهمة عناصر الإنتاج (أي التوزيع الوظائفي) فالنظام الرأسمالي يحصر هذا التوزيع في الربح للأرض والأجر للعمل والفائدة الربوية لرأس المال والربح للتنظيم أو الإدارة.

أما النظام الاشتراكي فهو يلغي الملكية الخاصة لعناصر الإنتاج كلياً أو يحد منها بدرجة كبيرة، لذا فإن التوزيع يتم على أساس العمل، ووفقاً للخطة الاقتصادية التي ترسمها الدولة، وهو بهذا يخالف النظام الرأسمالي، وقد أوضحت التجربة العملية عجز هذا النظام عن حل المشكلة الاقتصادية، بل أدى إلى تفاقمها، وعجز عن تحقيق الأحلام التي بشر بها أتباعه ومعتنقيه، أما النظام الرأسمالي فقد أخذت بوادر فشله تبرز، وأخذت جوانب المشكلة الاقتصادية تستفحل مما يؤذن بقرب سقوط النظام الرأسمالي الربوي، وذلك سوف يؤدي إلى كارثة عالمية لا يعلم مداها إلا الله، فجزئيات المشكلة الاقتصادية أخذت في الاتساع والنمو والتجزؤ مما جعل منظري النظام الاقتصادي الرأسمالي يهتمون بالجزئيات والعمل على تجنب الأضرار التي تلحق بالجوانب الأخرى للمشكلة الاقتصادية.

لم تجد النظرية الإسلامية فيما يتعلق بجانب التوزيع من يتبناها في الواقع التنفيذي، وبالتالي فإن ما سوف يتم إبرازه من طروحات لمعالجة المشكلة الاقتصادية في جانبها التوزيعي، إنما يقوم على افتراض أن هذه الأطروحات في المعالجة إنما تقوم على أن هناك تكامل في النظرة لإدارة اقتصاد الدولة، والذي بدوره يرتبط ببقية الأنظمة الاجتماعية الأخرى المستمدة من الشريعة الإسلامية أي أن هذه الطروحات لا يمكن أن تقوم بدورها في معالجة هذا الجانب من جوانب المشكلة الاقتصادية إذا عزلت عن محيطها البيئي، إن

القصد من طرح هذه الأطروحات في معالجة جانب التوزيع من المنظور الإسلامي عند معالجة المشكلة الاقتصادية، هو إبراز أن الإسلام يمتلك الوسيلة والمنهج الذي يمكن عند الأخذ به مع بقية أنظمة الإسلام الأخرى، حل ما يعانيه الإنسان المعاصر من مشاكل اقتصادية ناتجة عن الانحراف عن فطرة الله التي فطر الناس عليها.
العلاقة بين عناصر الإنتاج وتوزيع الدخل القومي علاقة ترابط وتداخل وترتكز هذه العلاقة على تحديد عناصر التملك ومصادرها، والأسلوب الذي ينبغي اتباعه لتوزيع الدخل القومي على عناصر الإنتاج، ومن مصادر بروز المشكلة الاقتصادية في إي نظام اقتصادي حدود ونظام ومصادر التملك، وكيفية إيجاد التوازن بين مختلف عناصر الإنتاج في اقتسام حصة من الدخل القومي وهذا يتأثر بالقواعد والنظم والتشريعات التي تحدد مصادر الدخل وطرق الكسب ونطاق ومجال استخدام الفائض المدخر من الكسب.
إن من أهم الأمور التي تشغل بال الاقتصاديين هو كيفية معالجة عدم التوازن في تخصيص وتوزيع الدخل على مختلف عناصر الإنتاج.
يمتلك الإسلام تصور معين ومنهاجية خاصة تحدد طرق الكسب ونطاقه كما تعالج نطاق الإنفاق مع إعطاء الحافز على الادخار والاستثمار، بجانب الاحتفاظ بتوازن المجتمع ضمن التوجيه القرآني الكريم في قوله تعالى: ((كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم))[الحشر: 7]، الإسلام يحرص على تحقيق التوازن بين مختلف عناصر الإنتاج بالتدخل عند الضرورة مع وضع القواعد التي يتم الاسترشاد بها، إن عناصر الإنتاج التي يقرها الإسلام، ويعمل على تحقيق التوازن بينها ثلاثـة عناصـر أسـاسـية هي: العمل، والموارد الطبيعة ورأس المال، أما عنصر التنظيم أو الإدارة فهو يدخل ضمن عنصر العمل والإسلام يعطي أهمية خاصة للعمل حيث إن له دور متميز في العملية الإنتاجية لأنه العنصر المؤثر في تكوين رأس المال، ولكن لا يُهمل دور رأس المال في المساهمة في العملية الإنتاجية.
اختلال التوازن بين عناصر الإنتاج يساهم في وجود المشكلة الاقتصادية ولهذا فقد وضع الإسلام قواعد لمنع هذا الاختلاف بين عناصر الإنتاج، وسوف نناقش كيفية معالجة الإسلام لكل عنصر من عناصر الإنتاج فيما يتعلق بمعالجة توزيع الدخل القومي بين هذه العناصر، ويعقب ذلك إبراز معالجة الإسلام العامة لضبط التوازن بين مختلف عناصر الإنتاج ضمن نظام الإسلام الاقتصادي.
يعتبر الإسلام عنصر العمل هو القاعدة الأساسية في التملك، كما أنه هو المتحكم والمؤثر في تحديد تكاليف الإنتاج، لأن إنتاج السلع أو تقديم الخدمات مرتبط بقوة العمل المبذولة سواء أتمثلت هذه القوة في الجهد العقلي أو العضلي وإن إنتاج السلع أو تقديم الخدمة لا يتم إلا من خلال قوة العمل، وبهذا فإن الإسلام يعترف بدور العمل في العملية الإنتاجية.

روى الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده عن جميع بن عمير عن خاله أبي بردة بن نيار قال: سُئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أفضل الكسب فقال: »بيع مبرور وعمل الرجل بيده«(1)، وفي حديث آخر رواه أحمد والحاكم عن رافع بن خديج قال: قيل يا رسول الله: أي الكسب أطيب؟ قال: »عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور« (2)، وفي حديث آخر رواه ابن حبان في صحيحه وأحمد في مسنده عن سويد بن قيس قال: جلبت أنا ومخرمة العبدي ثياباً من هجر فأتانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فساومنا في سراويل وعندنا وازنون يزنون بالأجر فقال للوازن: »زن وأرجح«(3).
من هذه الأحاديث وغيرها نجد أن الإسلام يعطي للعمل دوراً في العملية الإنتاجية، وأن العمل هو أفضل أعمال الكسب، لأهمية العمل في النشاط الاقتصادي وتأثيره في الدورة الاقتصادية، وفي ظهور المشكلات الاقتصادية فقد عمد الإسلام إلى معالجة المشكلات التي يمكن أن يؤثر فيها العمل، فمن تلك المعالجات التي اهتم الإسلام بوضع حلول لها، وأرشد إلى أمور ينبغي الأخذ بها الأمور التالية:

1- وضع أسس تحديد الأجور:

عند وضع سياسة الأجور يجب وضع أسس تحديد الأجور في المجتمع فمن ذلك ما رواه أبو داود في سننه وأحمد في مسنده عن المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: »من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة وإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً«(4)، إن هذا الحديث يضع قاعدة عامة لسياسة الأجور، ونصيب العمل من الدخل العام وهذه القاعدة تتمثل بأن يكون هناك حد أدنى للأجور لا يجوز إعطاء أقل منه وهذا الحد الأدنى مرتبط بالكفاية في تحقيق الضروريات الأساسية، لهذا فإن من المشكلات التي تؤثر في تفاقم المشكلة الاقتصادية هو تقليص الأجور وإضعاف نصيبها من الدخل القومي، لأن إضعافها سوف يؤدي إلى التأثير على الإنفاق والذي بدوره يؤثر على الدورة الإنتاجية.

2- ضرورة معلومية الأجور ودفعها عند تمام العمل المنجز:

وهذه القاعدة تساعد على إيجاد سوق العمل المستقرة، ومنع الاضطرابات العمالية التي هي السـمـــة البارزة في المجتمعات الرأسمالية، ومن الأحاديث المرشدة إلى هذا الأمر ما رواه الدارقطني بـسـنـده عــن عبد الله بن مسعود أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: »إذا استأجر أحدكم أجيره فليعلمه أجره«(5)، كما روى أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نـهــى عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره، ونهى عن النجش واللمس وإلقاء الحجر(6)، كـمـا روى البيهقي في سننه مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قـــال: »أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، وأعلمه أجره وهو في

عمله«(7) فهذه الأحاديـث ترشـــــد إلى دفع مستحقات العمال في وقتها، ومعلومية الأجر والغاية من هذا الأمر إيجاد العلاقة الجيدة بين أرباب العمل والعمال، وبالتالي استقرار سوق العمل.

3- العمل على استقرار سوق العمل:

وذلك بالعمل على غرس مبدأ الاستقرار وبقاء العامل في عمله وعدم الـتـنـقــــل من عمل إلى آخــر، وإن اضطراب سوق العمل وعدم استمرارية العمال في أي نشاط من الأنــشــطــــــــة الاقتصادية، سوف يؤثر على تكلفة الناتج نتيجة لتغير منـحـنـى عرض العمالة، فيحدث الاضطراب في سوق العمل، لهذا فإن الإسلام يعمد إلـى الحــث على استقرار العمالة وعدم تنقلها، ويرشد إلى ذلك ما رواه ابن ماجة في سننه وأحمد في مسنده عن الزبير بن عبيد عن نافع قال: كنت أجهز إلى الشام وإلى مصر، فجهــزت إلى العراق فأتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت لهــا: يــا أم المـؤمـنـيـن كـنت أجهز إلى الشام فجهزت إلى العراق، فقالت: لا تفعل مالك ولمتجرك فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: »إذا ســبـب الله لأحـدكـم رزقاً من وجه فلايدعه حتى يتغير له أو يتنكر له« (8)، وما رواه ابن ماجة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »من أصاب من شيء فليلزمه«(9)، هذه التوجيهات النبوية ترشد إلى الاهتمام بضرورة العمل على استقرار العمالة وبقائها، أي العمل على السعي إلى المحافظة على توازن منحنى العرض والـطـلـب للـقـوى العاملة.

4- حفظ حقوق العاملين:

تقوم استراتيجة تنظيم العمل كـمــــا ترشد إليه أحكام الإسلام، على حفظ حقوق العاملين وإلزام أصحاب العمل بتوفير الظروف البيئية الملائمة، وعدم استغلال طاقة العامل أكثر من قدرته، وضرورة كفاية الأجر لتحقيق احتياجاته الأساسية، فلقد وردت أحاديث ترشد إلى مراعاة ذلك والأخذ به، ومن ذلك مــــا رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: »لـلـمـمـلـوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل ما لايطيق«(10)، كما روى البخاري بسنده في الأدب المفرد عن أبي ذر قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »إخوانكم جعلهم الله تحت أيديـكــم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه«(11).

من هذه الأحاديث يمكن وضع سياسة عامة للعلاقة بين أرباب الأعمال والعمال، تتمثل في إعطاء العمال الأجور الكافيــة لسداد احتياجاتهم، مع وضع الضوابط التي تمنع أصحاب العمل من تكليفهم بالـقـيـــــام بأعمال أكثر من طاقتهم بحيث يلزم صاحب العمل بتهيئة الظروف الـتـي لا تــؤدي إلى إرهاق العامل جسدياً ونفسياً، هذه الأمور تقدر بقدرها ضمن القاعـــــــدة الأصولية

»لا ضرر ولا ضرار« بحيث لا تغلب مصلحة العامل على مصلحة رب العمل، ولا مصلحة رب العمل على مصلحة العامل، بل يجب الانطلاق عند وضع السياسات العمالية من مفهوم أن الجميع أخوة تربطهم رابطة العقيدة والإيمان.

هـوامـش:

(1)أحمد ح/46613، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح/1126.
(2)أحمد ح/14114، وصححة الألباني في صحيح الجامع ح/1033.
(3)أحمد ح/352، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح/3574.
(4)أبو داود ح/2945، صحيح الجامع ح/6486.
(5)ضعيف الجامع الصغير، ضعفه الألباني وعزاه للدارقطني.
(6)أحمد ج3، ص 59 ؛ ضعيف الجامع ح/6030.
(7)ضعيف الجامع الصغير ح/943.
(8)سنن ابن ماجة ح/2148، وضعفه الألباني، ضعيف ابن ماجة ح/469.
(9)سنن ابن ماجة 2147، وضعفه الألباني، ضعيف ابن ماجة 468.
(10)الأدب المفرد ح/192، صححه الألباني، صحيح الجامع ح/5191.
(11)الأدب المفرد ح/194، صححه الألباني، صحيح الجامع ح/238.

نصـوص شـعرية

صرخة في طريق المجد

عبد العزيز بن غرسـان الشـهري

جُرحٌ مضى وهناكَ جُـرحٌ بـادي ومـصـائبٌ جلــت عن التّعدادِ
في كـلّ نـاحـيــة وكــل ثَـنـيّــةٍ جُــرحٌ يَـصـيـحُ بأمتي ويُنادي
حـتـى مـتى فرْعَونُ يقْهرُ عزتي وإلى مــتى هَامَانُ ينهبُ زادي؟
وإلـى مـتـى سيظلّ يُقلقُ راحتى كسرى، وقيصرُ يسترقّ بلادي؟
مــا في المــمــالــك والمدائن سالمٌ من سـوطِ جبــار وصولة عَادي
كم تَستَغيثُ وتستجيرُ وما تـرى إلا جمـاداً، أو شـبـيـه جَمَادِ!

****

أبـنـاءُ جـلـدتـنا وفي نظراتهـمْ حقدُ الصـليـب وخسّةُ الموسادِ
فـتـحـوا لأهْـل الشّـرّ كلَ مُغَلّقٍ وغَدَوا لأهْـل الخـيـر بالمرصادِ
نصبوا العداءَ فليسَ يُغلقُ منبرٌ إلا ويـُـفْـتَـحُ لـلـفــســاد نوادي
والـكـفـر يرتَعُ في الممالك آمنـاً وشريـعـة الـرحـمـن في الأصْفَادِ
وأئـمـةُ الإصـلاح في أوطـانـنــا ملــؤا السّـجُونَ بتهمة الإفسادِ
والـقـُـدسُ مثخنةً تئنّ وفي رُبـى مــدريـــدَ مـدوا للســلام أيَادي
في مـــا مضـــى كنا نراهُ خيانةً والـيـومَ نــركُضُ خلفَهُ ونُنادي
بالأمس طارقُ جَاءَهَا مُتوشحـاً سيفــاً لـيرفعَ رايـــــةَ الأمجادِ

ماذا يـظــنّ ويُرتَجَى من معشَـرٍ خـانــوا كـتـائبَ طارق بن زيادِ
ربــاهُ جـئـتُـكَ لا لغيركَ طالبـاً ولغـيـر بابكَ ما أنختُ جَوَادي
****
ألـمـي يطـول فَأمّـتـي في حيـرةٍ مـن فـُــرقـَــة الـعـُـلماء والعُبّادِ
الحـقّ بـيـنَ تَـخـَـاصـم وتَقَهقُـر والـكُـفــر بـيـنَ تضـافرٍ وتمادي
زُرِعَ الخلافُ بأرضها حتى غــــدَتْ مـزَقــاً مـن الأضـغـان والأحقادِ
تـغـزى فتُهرَعُ ويحَ عُمري للعدا كـفـريـسـة هُـرعـت إلى الصيادِ
والـفـقــرُ يـفتكُ بالبلاد ومَالُهـا يُـجـبَـى لأهـل الكُفر والإلحـادِ
إنــي لأعجبُ كيفَ تُنصَرُ أمـةٌ عَـبَــثـــاً بـغـيـر شريعة وجهادِ
مـا دُمتِ مُعْرِضَةً وسيفُك مغمـدٌ فـالـمـَجــدُ في واد، وأنتِ بوادِ
****
أنا مسلمٌ يا قوم تجري في دمي شيَمُ الأبـاةِ ونَـخـــوَةُ الأجــدادِ
قــد راعَ تكبيري كَنائسُ قيصَـرٍ وارتَاعَ كسرى من صَهيل جيَادي
نفـسـي عـلــيّ عزيزةٌ وكرامتـي لا تـُـشـتــَـرى بالـوَعـد والإبْـعَادِ
والقلبُ مني باليقين قد ارتـوى ثقـــةٍ فـلـسـتُ أشُـكّ فـي الميـعادِ
والله لا النمرودُ يـوهـنُ هـمـتـي أبداً ولا فـرعَـونُ ذو الأوتَــــادِ
أنا لستُ أخشى حربَهُم وسياطَـهـُـم كـــلا ولا أخـشــى مــن الجَلادِ
إن مادَ جسمي للسياط ولـلأذى فـالـقـلـبُ مـنــي لـيـــسَ بالمَـيّادِ
إن آثروا سجني فسجني خَـلوةٌ وسـيــاحـتـى في النفي والإبعـادِ
أوْ سـرّهـُم قتلي فلستُ بجــازع فالمـوت غايــــةُ مطلبي ومُـرادي
عَجبوا، وما عجبوا لشيء مثلما عـَـجـبوا لطول تصبّري وعنَادي
ضدان ما اجتمعا لطالب عـــزةٍ شَرَفُ النفوس وراحةُ الأجســادِ
****
يا قوم قد بانَ الطريقُ فهل تُرى أزفَ الرحيل إلى ذُرى أمجــادي
سيروا على سنن الأبَاة وشمّـروا حذراً، فما في الدرب غيرُ قــتادِ
أدوا الأمانة قبل ألا تـمـلـــكُوا إلا الـبـُكــاءَ وحُـرقـَــةَ الأكْبَــادِ
إنــي أرى أيامكم قد أصْبَحَــتْ حُـبــــلى، وأرقُبُ ساعَة الميــلادِ
وتـوغـلــوا في كل درب نـافــع لا تـتـركــوا الـمـيـدان لـــلأوغـادِ
كم منهل عذب، وكم من مـورد لـلـخـيـر يـشـكـوا قـلـــةَ الوُرّادِ
ربوا النفوسَ على الثّبَات سجيةً عندَ الحَوادث فالخُطوبُ غوادي
وتـريـثـوا فالنصر ليسَ بخُطبة تُـلـقـى ولـيـسَ بـوفـرة الأعـــدادِ
مــا حاجـة الأمجاد إلا وقـفـةٌ في الـحـادثــات كـوقـفـة المقْدادِ
كـم رايـة بالأمـس أوْقدَ نارُهــا لم يـبـقَ مـنـهـــا اليومَ غيرُ رمادِ
هـي رايــةٌ لـلحــقّ إلا أنـهـــا رُفـعـت بـغـير بصيرة ورشــــادِ
مـا قـلـة الأعــداد نشكوا إنمـا تشـكـــو الكـتـائبُ قلـة الإعدادِ
محَنُ الزمان تَمَيزُ إنْ هي أقبلت بـيـنَ الأسـُــود وصُـــورة الآســـادِ

المسـلمون والعالم

هل الغـرب يكـره التسـلط إلى هذا الحـد؟
عين الرضا لجاكرتا.. وعين السخط لكوالالمبور!

د. عبد الله عمر سـلطان

»مات الديكتاتور«، »سقط الإمبراطورالأحمر«، »وأخيراً.. هلك الطاغية«...

عناوين مشابهة لهذه كانت هي التي تتصدر صفحات الصحف الغربية وحاشيتها العربية بعد هلاك زعيم كوريا الشمالية وصـنـمـهـا الأوحد »كيم إيل سونج«، لاسيما بعد أن أخذت المواجهة بين هذه الدولة المتقوقعة على نفـسـهـا وبين القوى الغربية المسيطرة على العالم ومقدراته بعداً آخر...، لقد فجّـر الزعيم الهالك مــــن ضمن ما فجر خلال لقائه بالرئيس الأمريكي الأسبق »جيمي كارتر« معادلة النفاق والتطفـيـف الأمـــريكي الطافح حين ربط بين برنامجه النووي وبرنامج »إسرائيل« الأكثر تطوراً، وقذف بالكرة في الجانب الأمريكي قائلاً : »أنا مستعد لتدمير برنامجي النووي في حالة تدمير البرنامج الإسرائيلي الأكثر خطراً..!!«.

لقد أصبح منطق الطغاة والمحنطين على كراسي الحكم هو »قارنـــــوا بـرامجنــا التسليحية ببرامج إسرائيل«، وهذا المنطق هو من باب إحراج الجانب الغربي وبيان عوار منطقه وكفره بأبسط مبادئ العدل والمساواة في العلاقات الخارجية لأنه يمسك بهذا الغرب الـمنحاز من العصب الذي يثيره، ويكشف عن همجيته وانحيا زه، أما الجانب الآخر من منطلق الطغاة ومنطقهم، لاسيما في عالمنا العربي والإســلامي، فهو أن هذه المقولة الحقة لا يراد بها إلا باطل تجرعته أجساد شعوبنا حينما تسلط هذه الأسلحة وتلك المدافع إلى صدور الـشـعــب الأعــزل.. لا إلى »إسرائيل« التي كفلت لزعامات تصلب الشرايين أن تغرس أقدامها كجذور شجر الصبّـار الشائك...

لقد تنفس »العالم الحر« الصعداء، وأفرغت ذراعه الإعلامية التي لا تقل دموية وجرماً عن آلته العسكرية والاقتصادية المقالات والدراسات والتحليلات المتعددة التي ترسم خيارات المستقبل الآسيوي بعد هلاك الطاغية.

أوليس جديراً أن يحتفل الغرب المناضل دوماً في سبيل الحرية بسقوط زعيم متسلط؟ أوليس الغرب هــو حــــامي حمـــى الديموقراطية والذائب هياماً وشغفاً بكل ما هو ومن هو عادل ومنصف؟!

قد يذكرنا بعضهم هنا بمقولة »جان كارباترك« مندوبة أمريكا في الأمم المتحدة سابقاً، ومنظرة اليمين الأمريكي »المحافظ والمتدين« حينما أطلقت تصريحها الشهير حول دعم أمريكا لبعض الأنظمة القمعية مقابل حركات تؤمن بالحوار والتعددية، فقالت دون مواربة: »إن دكتاتوراً تابعاً لنا... خير ألف مرة من نظام ديموقراطي يقف أمام مصالحنا...«.

وهنا قد يقال: إن هذا التصريح هو زلة لسان أو عاطفة جياشة من شمطاء لم تملك مشاعرها أو أحاسيسها وهي عادة متأصلة في رعاة البقر لاسيما المحافظين منهم لكن لماذا لا نمتثل لنصائح الناطق باسم البيت الأبيض أو وزارة الخارجية الأمريكية حيث يشير علينا مع كل غارة إسرائيلية تجندل الأطـفــال وتزرع الرعب، بأن نضبط أعصابنا، وأن نتحلى بمقدار جيد من ضبط النفس، حتى تتكفل إسرائيل بضبط أنفاسنا.. أو إنهائها إلى الأبد؟!.

ماذا علينا لو نظرنا بعين الواقع إلـى جـنــوب شرق آسيا قريباً من بؤرة هلاك الدكتاتور، وقارنا بين مثالين أحدهما »دكتاتوري«... والآخـــــر »ليبرالي«... واحد يكمم الأفواه ويطـارد المعارضين، ويسـتحدث العقـائد لدولة جـل سـكانـهـــا يدينون بدين واحد، وآخر يحكم خليطاً غير متجانس من الشعوب والأعراق...؟! لن نختار دولة مسلمة وأخرى كافرة لأن أصدقاءنا الأمريكان سوف يتهموننا حتماً بالأصولية والتشدد والنتائج المسبقة، بل سنختار دولتين ضمن عالمنا الإسـلامي لننظر كيف يُصعّـد الحدث هنا، ويتجاهل هناك ثم نطرح السؤال البريء ذاته: هل يؤيد الغرب الديموقراطية أم الدكتاتورية؟!

ثم ما هو عامل الفرز لحب التسلط أو الهيام بالتسامح والـتـعـــددية؟ هل هذا العامل مهم وحاسم ودقيق إلى هذا الحد؟.. دعونا نستعرض وضع أندونيسيا وماليزيا للوصول إلى إجابة معقولة على هذا السؤال.

أندونيسيا ومفترق الطرق:

ظلت أندونيسيا رغم ضخامتها وكثافتها السكانية عامل تحييد واسـتـقــــرار في منظومة السياسة الأمريكية في المحيط الهادي، أو بعبارة »ستيفن ستراسر« المعلق الأمـــريـكـي »دولة متعاونة مع الغرب إلى أقصى حد، وودودة مع الصين رغم استحواذ الجالية الصينية بها على المقدرات الاقتصادية، مع سلبية في تعاملها مع جيرانها، وهي الآن تبحث عن موطئ قدم في ظل انقلاب الموازين، فهي التي بادرت لإجراء المباحثات في كمبوديا، وهـي التي تسعى لجمع فرقاء النزاع في بورما، كما أنـها الآن تعرض وساطتها بين كوريا الشـمـالـيـة والغرب« إن الرئيس الحالي سوهارتو الذي أتى بعد حكم »سوكارنو »المتعاطف مع الشيوعيين، ظل أصدق الحلفاء لأمريكا، وهذا ما حدا بالغربيين إلى التغاضي عن الممارسـة السياسـية العـنـيـفـة والفســاد المستشري في الحكومة هناك ولا تزال أصداء الصدمات الأخيرة بين الحكومة والـشـعــب لا تخطئ بكثير متابعة من قبل الصحافة الغربية التي تعمل بنظرية حارس البوابة »الإعلامية«، وهذه النظرية الإعلامية تقول إن الإعلام لاسيما

الذكي يتعامل مع الخبر كحارس البــوابة فيضخم ما يراه يخدم مصالحه ومبادئه، ويتجاهل ما يسيء إليها... وهذا العامل هـــو الذي يفسر التغاضي عن إجراءات الحكومة الأندونيسية لحظر أكبر ثلاث مجلات في البلاد هي: »دي تيك، وتمبو، والمحرر« في شهر »حزيران« المنصرم بعد أن نشرت تفاصيل عن عمولات صفقة شراء أسلحة للقوات البحرية الأندونيسية التي يتهم فيها وزير التطوير والتقـنـيــة »حبيبي« الذي يعد أبرز الشخصيات لخلافة »سوهارتو »بعد أن إنتهاء ولايته الخامسة.
لقد مرالأرخبيل الأندونيسي بفترة مشابهة في عام 1978 م، بعد أن تظاهر الطلبة والمثقفون اعتراضاً على إعادة انتخاب ســوهــارتو رئيساً في ظل انتشار المحسوبية والفساد والقمع السياسي، والاعتماد على المساعات الـخـــارجية وتسلط الجالية الصينية، على مقدرات البلاد وتحالفها مع نظام العسكر.
لقد طرح المعارضون بقوة أن العسكر قد قاموا بواجبهم ولم يعد لديهم أي جديد يقدمونه، فتفتقت الأذهان عن فكرة »الباتشيلا«، وهي دين جديد استحدثه »سوكارنو »، وألزم الشعب الأندونيسي المسلم إعتناقها، ثم قام بمطاردة كل خصومه بحجة محاربة هذا الوثن الجديد الذي أُلزمَت حتى الأحزاب الإسلامية بالإيمان به وإلا... والســــؤال: هل يواجه المأزق السياسي بدين جديد أو وثن آخر يتم من خـــلالـــه محاربة الـمـد الإسلامي المتنامي في الأرخبيل الوادع؟
لقد راهن العسكر والقوى الغربية من خلفهم على النمو الاقتصادي بـاعـتـبـاره هدفاً وغاية ووسيلة من خلال نموذج شبيه بنموذج »بونشيه« ديكتاتور تشيلي الذي حكمـهـــا بالحديد والنار ليرفع من اقتصادها عـقدين من القمع لكن النمو الاقتصادي في ظل التسلط والتغاضي الغربي، لا يحل المشكلة بل ربما فاقمها فالصحافة الأندونيسية والشارع هناك يتحدث عن »مافيا بيركلي«، وفي هذا إشارة إلى جامعة »بيركلي« الأمريكية الشهيرة التي ينتمي إليها معظم رموز النظام الحاكم والمثقفين الكبار، وهذه العصابة الحاكمة ترى أن النمو الاقتـصـــــادي وحده لا ينصف مظلوماً أو يزيل فساداً أو يحل قضية هامة كقضية الهوية والانتماء لاسيما في أجواء صحوة المسلمين المعاصرة وعودتهم إلى ذاتهم.
قـــد يتغاضى الغرب حيناً عن أصدقائه، ويطلق أيديهم تخنق وتصطاد ضحاياها البشرية، وتعـــــد برفاهية أكبر وحلم تنموي جميل، لكن الأرقام والمشاعر حينما تختلط تقول إنه بالرغم من التقدم الاقتصادي والنمو المتسارع في أندونيسيا، إلا أنه يظل أقل بكثير من دول آسيوية أخــرى لا تقارن بإمكاناتها ومقدراتها، وأن طوفان الفساد المستشري يلقي بظلاله على الحياة الاقـتـصـــادية من خلال الاحتكار والعمولات الخيالية، تماماً كما يعوق نمو الحياة الاجتماعية أو الـسـيـاسـيــــة، فالنمو الاقتصادي لابد أن يرافقه انفتاح

سياسي، واستقرار اجتماعي، واستنفار لغالبية الأمة يربطها بمعتقد أو فكرة شمولية حضارية كعقيدة الإسلام لا تمت لشعوذة العسكر أو صنمهم الهلامي!!

وماليزيا في خندق الدفاع عن الذات:

على عكس الوضع في أندونيسيا، فإن الخارطة السياسية والأمنية في ماليزيا تتميز باختلاط كثير من الأعراق لاسيما الصينيين والهنود، إضافة إلى الملاويين المسلمين، ويشكل المسلمون أغلبية ضئيلة لكنهم يمسكون بزمام الحكم والقيادة، وقد استطاعت مالـيـزيـــا أن تسجل قفزات كبيرة في تكوين دولة عصرية ذات اقـتـصـاد مـتـيـن رغـم قـلـــة إمكاناتها مقارنة بأندونيسيا، وظلت البلاد تتمتع بمناخ حر وفضاء واسع حتى للأقليات المتربصة بالمسلمين والموالية لدول الجوار وبالرغم من الرفاه الاقتصادي المقرون بمناخ حر وديمقراطي، فقد ظلت البـلاد تتمتع بسياسة مستقلة ترفض التحزبات، وتأبى أن تخضع للهيمنة والغطرسة الغربية.

لقد جمع المثال الماليزي المحرمات الثلاث: نمو اقتصادي، وحرية سياسية، وتـوجـــه مـسـتـقل يحمل بصمات الإسلام، وهذا ما يفسر حنق الغربيين لاسيما البريطانيين من هذه الدولة الفـتـيـــة وتسخير وسائل الإعلام لاسيما التي يملكها الصهيوني »ماردوخ« للنيل من الحكومة الماليزية التي ردت على بريطانيا »العظمى سابقاً« بأسلوب فيه درس للعزة ونموذج للإباء.

لـقـد قامت كوالالمبور بشطب الشركات البريطانية من قائمة المؤسسات التي تتعامل معها، فـمـا كان من الأسد البريطاني »الهرم« إلا أن قدم الاعتذار وتخلت الصحافة البريطانية عن أسلوب الدس العلني في هذه الجولة، لكن التآمر لم ولن ينتهي، وسيجد ألف وسـيلة لرد المارد الماليزي إلى الحظيرة وفرض النموذج »السوهارتي« عليه إن أمكن ذلك.

إن الـتـوجـه المستقل لاسيما المسلم هو عامل الفرز الوحيد لمضايقة ماليزيا ورسم المخططات لحصارها، كـمـــا أنه شرط العضوية المهم الذي غض الغرب الطرف بسببه عن الأرخبيل المجاور، الذي رضـي بالدوران في الفلك الغربي، وقام بنصب العقيدة الجديدة »الباتشيلا« بدلاً من الاعتزاز بالإسلام وترسم نهجه الحضاري.

الغرب يكره الديكتاتوريـــة، ويـحـــب الديموقراطية، عبارة حفظناها عن ظهر قلب، لكن الحقيقة الـمـــرة أن هـــذه العبارة صحيحةفي حق شعوبه ودوله فقط، أما في حق الشعوب المسلوبة هـــويتها فربما جرب الغرب الديمقوراطية هنا وشجع الدكتاتورية هناك، لكن في بـلـدانـنـــا المسلمة فلا شك أن الديكتاتورية لاسيما العسكرية تواجه بترحيب أكبر وتغذى بالمقويات والمنشطات التي تسعى كما نرى في البلدان الثورية في عالمنا العربي إلى جـعـلـــه كسروية ثورية يتوارثها الدكتاتور الصغير عن السفاح الكبير، وهذا بالضبط ما ينـــوح عليه الغرب ويلطم في مأتم الديكتاتور الشيوعي الكوري

الذي حول »البرولتاريا« بقدرة قـــادر إلى مؤسسة ماركسية عائلية مغلقة أمام المساهمين
هل نعود إلى مقولة »جين كارباتريك« ونعيد تقييمها على ضوء هذه المقارنة لنقول: إنها أكبر من مجرد زلة لسان وأقرب ما تكون إلى قاعدة مهمة في سياسة وصولية مستعمرة؟!

@المسـلمون والعالم

وآإسـلاماه:

ردة بين مسلمي الهند فماذا نحن فاعلون؟!

د. نـفـيـس أحـمـد

المسلمون في أطراف »علي كراه« وبـعـض مديـرياتـهـــا يقضون حياتهم في أسوأ درجات الفقر والتخلف، وبخاصة في الناحية التعليمية والاقتصادية، ولا توجد المدارس التي يتلقى فيها أبناء المسـلمين العلوم الدينيـة والعصـرية في هذه الـقــــرى إذ أن جل الناس يعيشون في فقر وإفلاس، فلذلك لا يستطيعون بناء المدارس، ولا يعرفـون أهمية التعليم في العصر الحديث، فضلاً عن أن يرسلوا أولادهم إلى الخارج للدراسة، وغـالـب أبـنـائـهـم يشتغلون في المزارع وتزويد المدن المجاورة بالحليب، ويعملون في النجارة أو الحدادة، وبعض الأعمال اليدوية البسيطة بوجه عام.
والـشـيء الـذي يفـزع كل مسلم، هو أن الأحزاب الهندوكية المتعصبة قد استغلت تخلف المسلمين وسوء حالتـهـم، فعملت جاهدة على إخراجهم من ربقة الإسلام، وقد عرفت هذه الحركة باسم »شدهي«، والـحـــــزب الهندوكي الذي يؤدي الدور المهم في دعم هذه الحركة يُعرف باسم »بآديه سماج«، وتلك الـــردة واقع يعيشه المسلمون، والمناطق المتأثرة بهذه الـردة هي: »هـاترس« »آكره« »اتيه«، »متهرا« في ولاية اترابرديش، و »بهرت بور« في ولاية رجستهان، إذ إن هذه المديريات متجـاورة، وقد بلــــغ عددها المائـة أو أكثر ومعظم من يقطن هذه المنطقة هم طبقة »راجبرت«، وكان أكثر أفراد هـــــــذه القبيلة قد دخلوا في الإسلام قبل عدة قرون، ولكنهم لم يجدوا التوعية الدينية والتربية الإسلامية رغم مضي عدة قرون على إسلامهم، ولم يفكر المسؤولون من الأمة الإسلامية في وضعهم التعليمي والاقتصادي، إذ إنهم لايزالون متمسكين بالتقاليد التي ورثوها، فلم يتغيرحالهم في قليل أو كثير، وقد سنحت للحركات الهندوكية المتعصبة فرصة بعد استقلال الهند، واستغلت الأوضاع وحاولت إقناع المسلمين بالارتداد، أو إغرائهم بمزاعمها بأنهم إنما كـانـــوا على الديانة الهندوكية من قبل، وأن الملوك المسلمين قد أرغموا آباءهم وأجدادهم بالقوة على ترك الديانة الهندوكية، ولم يعد هناك أي

مبرر في استمرارهم على الدين الإسلامي، ويصبح من العسير نيلهم الوظائف في الدوائر ولا أي ضمان لنيل المال والحياة الكريمة ما لم يرتدوا إلى الهندوكية.
غير أن المسلمين الذين كانت عندهم الكرامة والغيرة، رفضوا شتى الإغراءات وهاجروا إلى باكستان، وقد ارتدت أكثر القرى التي بلغت حوالى مائة قـريـة بعد الاستقلال، والمسلمون من سكان هذه القرى لايزالون يتعرضون لمحاولات حـثـيـثـة لدفعهم إلى الردة، والمديريات والقرى الأخرى التي تأثرت بهذه الحركة هي كما يلي:

1- في »علي كراه« ونواحيها:

برساره، الله بور، كلوكانكله، سوجيا، سوجان، كرى رستم، نكله كهرني، كوكا كهريا، كمهرى، كيمار، ببكواره، وكيرو.

2- في مديرية متهرا:

كوهن بور، برى، بمورى، مان كانكله، بهينه، ملك بيور اسـبـار مـادهــرى كند، اندى، نوكايان، سـيواميكو، برادلى، سـيهى، حتى بوره يائى سرير، تهرا، سلطان بور.

3- في مديرية آكره:

مريره، سـلى نكر، سنيحكجه، سكراه، كاوا، واد، راى بـهـا سـكـنـدره، كـهـداوائـي، بحـبـورى، فـتـحـبـورى، يُسى جه، كهيره، بيرى، وأ اد يجائى نكله لجن، حسن بور، اروا، ساندهن، وكتيلا، وفي بعض القرى لا يوجد الآن أي مسلم، ففي ولاية راجستهان، وبصفة خاصة في مكان تسى كهيلى ببرو، جالنى كنج.

العوامل الكامنة وراء فتنة الردة:

مــــن العــوامـل التي تؤدي إلى انتشار تلك الردة، الكتابة ضد الإسلام: فنسبة الهنود من المثقفين والمتعلـمـيـن في هذه المنطقة مرتفعة بالمقارنة مع المسلمين كما أن وضعهم الاقتصادي هو أحسن بكثير مــن المسلمين، فلديهم أسواق تجارية كثيرة وكبيرة، ويخصص التجار من دخلهم اليومي قسطاً معيناً لحركة »شدهي«، وتستعمل هذه الحركة ذلك القسط المعين لتنشيط العمل والدعاية ضــد الإسلام، وتطبع الكتب بكثرة للطعن في القرآن الكريم والسنة، وتوزع مجاناً في موسم »هــاتـــرس«، الذي ينعقد في معبد »دأوجى مهراج« في »أغسطس« أو »سبتمبر« كل عام، وتزداد هذه الكـتـب في كل سنة، وتحتاج إلى الرد الدامغ عليها، وهذا ما لم يقم به أحد بعد، وتغرس روح الاسـتـنـكـــار والاستخفاف ضد الإسـلام والمسـلمين عن طريق هذه الكتب، والمسلمون لا يستطيعون الرد الـصـحـيـح بـسـبـب قـلــة معرفتهم بالدين الإسلامي فيتأثرون بتلك الشبهات، وقد أصيبوا بمركب النقص بسبب الـنـسـبـة المنخفضة في التعليم والاقتصاد، وبما يثار ضد الإسلام من دعاوى ومفتريات.

اختلاط المسلمين بالهندوس:

كما ذكر سابقاً فإن المسلمين يعيشون مع الهندوس ويتشبهون بهم في تقاليدهم إلى حد كبير، فأسماء الرجال والنساء من المسلمين متشابهة مع أسماء الهندوس، وننقل هنا بعض الأسماء على سبيل المثال: (حتربال سنك جندربال، راجبيرسنك، سرنام سنك، سكورام، انوب سـنـك)، هـــــذه أسـمـــاء الرجال المسلمين كلها، أما أسـماء النسـاء فهي سـرشـيلاديري ارملاديري تاراوتي وهنى)، والسبب في هذا هو تسهيل الالتحاق بالمدارس، فحينما يأخذ مسلم ولده للالتحاق في الـمــدرسة يطالبه مدير المدرسة بتغيير الاسم ليكون مشابهاً لأسماء الهندوس، فيقول أب الولد المسكين: عيّن الاسم الذي تستحسنه لهذا الولد فيبدل المسؤول اسمه، ويسجل هذا الاسم في الـمـسـتـندات كلها مستقبلاً، ويعرف هذا الولد المسلم بالاسم الهندوكي.
وننقل هنا بعض أسماء الأولاد المحولـــــة في الماضي القريب على سبيل المثال: (جمشيد علي، الاسم الجديد والمحول: مهندرسنك، محمد سليم الاسم الجديد والمحول: راجويرسنك، جميل أحمد، الاسم الجديد والمحول: ملكهان سنك)، وهناك شيء آخر وهو: حينما يذهب أي مسلم إلى مسجل البلد لتسجيل اسمه فيشير عليه بأهمية تغيير اسمه إلى اسم هندوكي بدلاً من اسمه الإسلامي.
ونتيجة لجهل المسلمين فهم يحتفلون بأعياد »هولي، ديوالي، رنكولي« الهندوسية، وعلى سبيل المثال فإن مراسم الزواج تتم كما يحتفل الهندوس بها تماماً، وإن تقاليد الزواج تشابه ما لدى الهندوس، وكثير من المسلمين يدورون سبع مرات حول النار وفق الطقوس الهندوكية مع خطبة النكاح، وبعضهم يكتفون بالدوران بدلاً من خطبة النكاح فحسب، ويوضع الطعام مثل الهندوكيين في أيام الزواج، ولا يستعملون اللحم قط، ويحتفلون بذكرى الأربعين للميت، ويأكلون فيه »بوا« الطعام الهندوكي، ويتصورونه طريقاً للثواب والعمل الصالح، ولو امتنع أحد منهم عن تلك الطقوس وصف بأنه »وهابي«!!، ويوجد جبل باسم »كوبردن« قريباً من »متهرا« يعبده الهندوس والهنود الذين لا يذهبون إلى كوبردهن في تاريخ معين، فهم يصنعون الجبل الصغير في بيوتهم للعبادة، وكثيرٌ من المسلمين في هذه المنطقة لجهلهم يفعلون ذلك في بيوتهم مثل الهندوكيين.
ثم إن المسلمين يلعبون القمار بكثرة مثل الهندوس في يوم »دهن تيرس« ويتفاءلون به للنجاح للسنة الآتية، وهم يلبسون دهوتي (اللباس الهندوكي الخاص) مثل الهندوس بوجه عام، ويحضر قليل من المسلمين للصلاة في يوم الجمعة والعيدين، وكذلك الصلوات الخمس.

الإغراء بالمال للردة عن الإسلام:

إن المسلمين كلهم يعيشون في فقر مدقع، وهم يرتدون إلـى الهـنــدوكية بأتفه مقابل، مثل إسقاط الديون اليسيرة أو غير ذلك، ومن المسلمين الذين اختاروا الـمـذهــب الهندوسي في الأعوام الماضية على سبيل المثال:
(كيندالال اختار المذهب الهندوكي لأجل مضخة يدوية مائية للحقل ؛ كبتان سنك، اختار المذهب الهندوسي لأجل ثلث ألف روبـيـــة ؛ كيان سنك، مقابل العمل كفراش! ديوان سنك، مقابل اعطائه بعض المال.
وارتد أحد عشر مسلماً في »الله بوره، وبرساره« في نوفمبر وديسمبر 1991 م، وكلهم تقريباً أغروا بالمال، ويحتفل المسؤولون من »أريه سماج« احتفالاً كبيراً عند إجراءات ردة المسلمين، ويـكـــــون البوليس بكثرة في ذلك الوقت لترويع المسلمين، فيجمع وجـهاء الناس وكبار الزعمـاء من المنطقـة وتلقى الخطب ضد الإسلام والمسلمين علانية، لإظهار القوة للمذهب الهندوكي ويتأثر المسلمون بهذا العمل خوفاً، حيث يقود الرأسمالي الهندوسي المشهور »برلا« هذه الحركة لتؤدي دورها في انتشار الارتداد في هذه المنطقة.
وتُزَوَجُ البنات المسلـمــات من الهندوس مقابل الأموال لآباء البنات بدافع الطمع والجهل بالدين، وأمـــــا أبـنـاء المسلمين الذين يدرسون الابتدائية والثانوية فهم يختاون المذهب الهندوسي ليتمكنوا من الزواج، وليجدوا المال الوافر مع تزويجهم من الهندوسيات، ومن ثم يُسَهّل المسؤولون الهندوس عملهم في الدوائر الرسمية.
ارتد أكثر القرى التي بلغ عددها أكثر من مائة بعد استقلال الهند إلى الآن، وكانت الردة بكثرة إبان استقلال الهـنــد، لكن لاتزال هذه الظاهرة مستمرة، وجل زعماء مسلمي الهند يتجاهلون القرى التي ارتدت كلها، فيهدم المسجد فيها، ويستعمل حظيرة للدواب!!.

مخاطر المستقبل ومدارس المعبد الهندوسي (ششوديا):

وانتشرت حركة الردة إلى الآن بسبب تخلف المسلمين وسوء حالتهم في التعليم والاقتصاد، ولجهلهم بحقيقة دينهم، ولكن الحركات الـهـنـــدوكية قد اختارت حيلة جديدة، وهي تأسيس المدارس باسم »التعليم والتربية«، حـيــــث يُـعـلــم الأولاد في هذه المدارس التعاليم الهندوسية مع الدراسات الأخـــــرى الـتــي تهاجم الإســـلام والمسلمين ويزداد التهجم والاستخفاف ضد المسلمين بتدريس دعاوى اعتداءات الملوك المسلمين على الهنود، وقصص ملوك الهندوكيين أيضاً وقد أسست مدرسة في موضع سرجـــــان في مديرية هاترس، التي يوجد فيها المسلمون بكثرة، وليس لهم سبيل لتعليم أولادهم إلا هذه المدرسة، فينشأوا على المذهب الهندوسي من حداثة السن.
فهلا تدبرنا وفكرنا فيما يحدث من قبل أن تكون العواقب رهيبة ومدمرة؟

الحركة القاديانية وأثرها بين المسلمين:

يستغل القاديانيون المسلمين أيضاً بسبب تخلفهم في التعليم والاقتصاد ولجهلهم بالإسلام، وقد نجحوا بخاصة في مدينتي »رجان وساندهن« وكثير من الـمـسـلـمـيـن قد قبلوا المذهب القادياني، وأسست لهم مدرسة من قبل القاديانيين ويلتحق بها أطـفـالـهـم مـمـا جعلهم يتأثرون بمذهب القاديانية.

إهمال المسلمين الكبير:

غريب جداً ألا يعلم كثيرٌ من المسلمين شيئاً عن هذه الردة الكبيرة حتى الآن، ولا يقوموا بمحاولات جادة لإيقافها ودراسة أسبابها ووضع الحلول الناجعة لعلاجها سوى ما حصل في ولاية »راجستهان« قبل عدة أيام في منطقة »بهرت بور«.

هكذا توقف فتنة الردة:

لا يوجد أي نظام للتعليم العام والشرعي بوجه خاص لأولاد المسلمين وبناتهم في المنطقة كلها، لذلك يجب اتخـاذ الخطوات التالية لعلاج هذه المأساة، وهي كما يلي:

1- تأسيس المدارس التي يدرس فيها التعليم الإسلامي مع العلوم الحديثة.
2- تأسيس النوادي الإسلامية الـتـي يـلـقي بها العلماء الخطب والنصائح الدينية في بعض المناسبات.
3- تكتب الردود الدامغة على الكتب المعـاديـــة للإسلام التي توزع مجاناً بين المسلمين في المنطقة كلها.
4- تأسيس كلية ثانوية عامة لأبناء المسلمين.
5- إنشاء المشروعات التعاونية لإصلاح حال الـمـسـلـمـيـن والرفع من مستواهم الاقتصادي والتعليمي.
6- فتح حسابات مالية لإعانة المسلمين الذين يرتدون بسبب الفقر.

ولا بد من توفير المال لإتمام الأعمال المذكورة مع الجهد المركز والاهتمام الـبـالـغ، وقـــد أسـسـت مـدرسة ابتدائية من قبل جمعية التعاليم الدينية في »الله بوره« وتُدَرّس فيها العلوم الإسلامية مع الـعـلـوم الحديثة، وقد بدأنا هذا العمل بعون الله تعالى مع فقدان كثير من الوسائل في أيدينا، وقـــد جـــاءت النتائج مفيدة بعد بدء هذا العمل، ولم يرتد أحد من المسلمين بعد ذلك وهم يشعرون بالثقة في النفس ولقد زار مسؤول الجمعية منطقتهم في كثير من الأحيان، والآن نحن نحتاج إلى مكان واسع لتأسيس الكلية والـمـدرســـة الثانوية كما نحتاج إلى الأفراد الذين يبذلون الجهد والإخلاص.
بدأ هذا العمل برعاية اتحاد التعليم الديني »علي كره«، وهو فـــرع لمجلس التعليم الديني الذي يرأسه فضيلة الشيخ »أبو الحسن علي الندوي«، ويتولى أمانته العلامة الدكتور »اشتياق حسين قريشي« من »لكنؤ«، أما رئيس الفرع فهو »رحمة الله خان شرواني«، وخازنه البروفيسور »نجم الحسن« من جامعة »علي كره« الإسلامية، ويرعى هذا الاتحاد ثلاثين مدرسة أخرى في

محافظة »علي كره«، والمساعي جارية لفتح مدارس أخرى كـثـــيـرة تعلم الطلاب عن طريق اللغة الأوردية مواد عصرية مع التعليم الشرعي الإسلامي. هذا حال بعض المسلمين في الهند، فما هو واجـــــب الـمـراكز الإسلامية الدعوية في عالمنا الإسلامي، وما هو واجب أغنيائنا والـمـوسـرين من المسلمين حيال الرفع من شأن إخواننا المغلوبين على أمرهم؟ ألا هل بلغت اللهم فاشهد!!..

والله نسأل التوفيق والسداد للجميع.

@المسـلمون والعالم

حـول موضـوع الأكـراد
- مناقشة وتعـقيب -

محـمد بن سـليمان

في العدد (76) من »الـبـيـان« المقال الموسوم بـ »أحفاد صلاح الدين بين مؤامرة الأعداء وخذلان الأصدقاء«، ولما كان هذا الموضوع مـــن الموضوعات الشائكة حيث تختلط العاطفة مع القومية والإسلامية، كان لابد من رؤية إسلامـيـــــة تكون بعيدة عن ردود الفعل وضغط الأحداث، وقبل إبداء بعض الملاحظات على المقال التي هي مساهمة في إيجاد رؤية إسلامية، لابد من التمهيد التالي:

1- نحن نؤمن بالإسلامية، وليس عـنـدنا ولله الحمد أي نعرة قومية أو نظرة مجافية لأي شعب من الشعوب الإسلامية، وذلك حتى لا يظن ظان، أو يتهم متهم.

2- إن القضايا التي تهم أمر الأمة لا يـصـلـــح لهــا التدسس للعواطف على حساب الحل السليم والنظرة الواقعية، ولا يصلح لها إلا المصارحـــــة وقول الحق ولو كان مراً، ومعالجة المشكلة من جميع جوانبها.

3- إن الأمة الإسلامية تجمع شعوباً شتى ولغات شتى، والأصل هو انصهار هذه الشعوب في بوتقة الإسلام، والإسلام لا يضاد الأشياء الطبيعية مثل أن ينتسب الإنسان إلى قبيلة أو شعب، ولكنه يحارب العصبية القبلية أو العصبية الشـعـوبـية: ((وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم))، ومشكلة الشعوب الإســـلامية مشكلة واحدة سواء أكانوا عرباً أو عجماً، وهي البعد من منهج الله، والتخلف الذي ضرب بجرانه منذ سنين متطاولة.

4- إن أي مشكلة لا تحل برد الفعل، فإذا كان الترك العلمانـيـون رفـعـــوا شعار القومية الطورانية، وبعض العرب رفعوا شعار القومية العربية، فالحل لا يكون برفع شعار القومية الكردية، وإنما بالرجوع إلى مصدر القوة والوحدة والتقدم، وهو الإسلام.

بعد هذا التمهيد أقول لكاتب المقال:

1- لماذا هذا التهويل في الألقاب، فهل أكراد البرزاني والطالباني والحزب الكردستاني في تركيا، هل هؤلاء أحفاد صلاح الدين حقاً؟ وأكثرهم فاسدون جهلة، شيوعيون وعلمانيون، ومن الطبيعي أن يقال أيضاً أن عرب اليوم من الجهلة أو الذين لا يريدون المنهج الإسلامي ليسوا أحفاد عمر بن الخطاب أو خالد بن الوليد، ولا أتراك اليوم أحفاد نـــور الدين أو محمد الفاتح..

2- إن لهجة المقال وفي الصفحة الثانية منه توحي بأن االأصل عند لأكراد هو الانفصال، فهم في الـدولـة الإسلامية: »وشاركوا في كثير من الأحداث التاريخية، وقامت لهم دول، وفـيـهـــم علماء...«، وأقول للأخ الكاتب: هذا شيء طبيعي لأن كل الشعوب التي أسلمت اندمجت في المجتمع الإسلامي الواحد، ولم يعد هناك هذا التمايز فالأتراك شــاركـــوا ومسلمو الهند شاركوا، والبربر شاركوا، فهل نعود الآن ليفتخر كل شعب بـمـــا عـمــل، ونثيرها عصبية مشوبة بالإسلامية؟

ومن أغرب الأشياء أن يقول الكاتب: إن دولة صلاح الدين كانت دولة كردية، وهل فَكّر صلاح الدين رحمه الله بهذا التفكير أم أقام دولة إسلامية وكان أستاذه في هذا هو السلطان نور الدين محمود التركماني؟

وأما نقلك عن عـلـمـــاء الأكراد أن الغرب يعاديهم لأن صلاح الدين منهم وهو الذي طرد الصليبيين، فهذا أيضـاً من التهويل الذي لا يحـمـد فالغرب يعادي الإسلام والمسلمين من أي انتماء كانوا، وصلاح الدين رحمه الله من أبطال الإسلام، ولكنها نظرة ضيقة للأمور، وللأتراك أن يقولوا: الغرب يعادينا لأن الدولة العثمانية دكت حصون الغرب وقلاعه لمدة ثلاثة قرون، والعرب يقولون: إن عداء الغرب لهم أكبر من أي عداء لأنهم هم الذين حملوا الدعوة الإسلامية إلى الشعوب في أنحاء العالم.. وإذا شجعنا هذه النغمات فماذا نقول للبربر في شمال إفريقيا أو لسكان جنوب السودان، أو لكل طائفة إسلامية لا تتكلم العربية؟!

3- والأعجب من هـــذا أن يـقـــول الكاتب: إن هناك رأياً منصفاً في مصطفى البرزاني، ويقول: »انظر: علماء الأكراد« مع أن أمـــــر البـرزاني وعـلاقته مع إسرائيل وعلاقته مع الشيوعيين في موسكو، أمر مشهور وقد اعترف ابنه مسعود فـي مقابلة مع مجلة (المجلة) بعلاقة والده هذه، وأما علاقة الطالباني وغيره من الأحزاب الـعـلـمـانـيـة الـكـرديـة مع إسرائيل، فيكفي أن يرجع الكاتب إلى الصحف والمجلات الصادرة بعد حرب الخليج.

4- هل تُشَجّعُ اللغة العربية أم الكردية، والمفروض على الأكراد وغيرهم من الـشـعـــوب الإسـلامية أن يتعلموا العربية، لأنها لغة الإسلام ولغة القرآن والسنة والثقافة الإسلامية، ونحن نـعـلـم أن هناك دعاة مخلصين في صفوف الأكراد يعلمون العربية، وينشرون الوعي الإسلامي والعلم الشرعي، ونحن لا نخاطب هؤلاء وإنما الذين يدندنون حول اللغة القومية ويغيرون أسـمـــاءهم

أو أسماء أبنائهم من العربية إلي الكردية، كما أننا نعلم صعوبة تعلم العربية بالنسبة للشعـوب الإسلامية، وأنها تحتاج لإرادة ووقت، وأنه لابد من ترجمات للعلوم الإسلامية، ولكن الأصل هو تعلم العربية.

5- في بداية المقال ذكر الكاتب أن من أسباب تطور ملف الأكراد »ازدياد الاهتمام بقضايا حقوق الإنسان، ومطالبة الأكراد بحل تاريخي على غرار حل الصراع العربي الإسرائيلي«، وكأن الكاتب يوافق على هاتين النقطتين، فهل هناك فعلاً اهتمام بحقوق الإنسان المسلم أم أن الغرب يدغدغ عواطف المسلمين بهذه الكلمات الطنّانة؟ وهل يوافق الكاتب على هذا الحل العربي الإسرائيلي؟ وهل الأكراد المسلمون يوافقون على هذا الحل؟!

6- وأخيراً أقول للأخ الكاتب: إن مشـكلة الأكراد هي مشـكلة كل مسـلم ولا شك في أنهم ظلموا من الأنظمة التي يـعـيـشــــون في ظلها كما ظلم غيرهم أيضاً، ويجب على المسلمين مساعدتهم في وضعهم الحالي في شـمـــال العراق، وعلى الدعاة استغلال هذه الفرصة لبث الدعوة وتعليم الناس أمور دينهم وإنشاء المدارس... وأما على المدى البعيد فلماذا لا يتعاون المسلم الكردي مع المسلم التركي للوقوف أمام الزحف العلماني؟ ولماذا لا يتعاون الأكراد في إيران وهم من أهل السنة مع أهل الـسـنـة هـنــاك؟ وإن مشكلة الكردي المسلم هي مشكلة العربي المسلم، فلماذا لا يتعاون الجميع لإقامة شــــرع الله، والدول لن تسمح أبداً بحل انفصالي فلماذا لا نرجع إلى الأصل وإلى الحل الصحيح وهو الإسلام؟!

تعقيب على المقال:

وقد تم عرض هذا النقد على كاتب المقال وأفاد بالآتي:

أشكر للكاتب الكريم وجهة نظره التي لا أشك في أنها ناتجة عن غيرة إسلامية، وأحب أن أضع بين يدي القارئ الكريم بعض ملحوظاتي على المقال فيما يلي:

1- حينما دعوت إخواننا الأكراد بأنهم أحفاد صـــلاح الدين، إنما كنت أعني استجاشة شعورهم الإسلامي بربطهم بقائد مسلم منهم، ولعلم الأخ الـكـريـــم أن الأكـــراد العلمانيين يعتبرون صلاح الدين خائناً للقضية الكردية! هكذا يزعمون، ثم من قال أن المـعـنـي بأحفاد صلاح الدين حزب البرزاني أو الطالباني بينما المقال يحذر من التعامل معهم؟!

2- لا يمكــن بحال أن يفهم القارئ للمقال أن فيه دعوة قومية، وقـد بـيــن الـمقال أن من أسباب فـشــل انتفاضتهم كونها كانت ذات منطلق قومي ومعاذ الله أن يكون ذلك الوهم في ذهن الكاتب.

3- لا أدري كـيـف يفهم الكاتب أن الأصل في المقـال هو انفصـال الأكراد وقد أكدت على خطأ ذلك، وأن أي توجه انفصالي سيعود سلباً على مصلحة هذا الشعب المسلم، وسيستغل من أعدائه أبشع استغلال.

4- لا يمكن أن أدعو إلى اللغة الكردية على حساب لغة القرآن الكريم، ولكن لنكن واقعيين أكثر، فهل ندع دعوة إخواننا الأكراد وتوعيتهم حتى يتعلموا لغة القرآن، أم أن دعوتهم بلغتهم ضرورة مع أهمية بل ضرورة تعلمهم لغة القرآن الكريم؟! وهذا محل اتـفـاق والحمد الله.

5- أما أن الأكراد يطالبون بحل تاريخي وذكر بعض الحلول، فهذا لسان الكثيرين منهم، وتلك الحلول لا يعني وصفها بالتاريخية أنها صحيحة أو مطلوبة، لكنها حديـث الساعة ولا يمكن بحال أن تحل مشكلات المسلمين إلا بحلول إسلامية مهما طال الزمـان، وهذا ما نتفق عليه.

6- أما ما ذكره الأخ الكريم في تعقيبه عن البرزاني فقد كـنـت أرغـب ويرغـب غيري في توثيق ما ذكره عنه، وليس الإحالة إلى مجهول، وبخاصـة وأن الرجـل قد أفضى إلى ما قدم، وإن كان الواجب ذكر الحقائق مهما كانت مرة.

جزا الله أخانا خيراً ووفقنا وإياه إلى ما يحبه ويرضاه.

@المسـلمون والعالم

مأزق الإعلام العربي في حرب اليمن

د. محمـد البشـر

المتتبع لتغطية الكثير من وسائل الإعـلام الـعـربـية للحرب اليمنية الأخيرة والإرهاصات السياسية التي سببت اندلاع الحرب، وتأثيرها على مرحلة ما بعد الحرب يلحظ العجب العجاب، فمنذ بداية الأزمة يشعر المتابع لتلك الـوسـائـل الإعلامية أن الإعلام العربي لم يتحرر بعد من عبوديته العمياء للنزوات والأهواء السياسـيـة الشـخـصـيـة، ولم يستفد من الدرس القاسي الذي حصل في حرب العرب مع إسرائيل عام 1967 م، عـنـدما ضلل هذا الإعلام الجماهير العربية حتى ظنت أن إسرائيل قد هزمت هزيمة ساحقة، وأبـيـدت عن بـكـــرة أبيها، ولن تقوم لها قائمة، فإذا بالإسرائيليين يردون على هذا الزيف الإعلامـي بضربة قاصمة قبل أن تشرق شمس الصباح، لتوقظ الشعوب العربية على حقيقة مُرة كشفت زيف إعـلامـهـــا الذي لم يكن إلا وسيلة لتمجيد الاستبداد العسكري والتسلط السياسي، وقناعاً يتوارى خـلـفـه الذين كرسوا أنفسهم لتعبئة الجماهير ونفخها بالشائعات والرسائل المزيفة.

ومع أن الفارق الزمني بين عامي 1967 و1994 م كـبـيـــر وشاسع، وخليق بأن يجعل هذا الإعلام يستفيد من ذلك الدرس الذي تلقاه وأن يعي أبـعـــاده، إلا أن الأحداث الأخيرة في اليمن أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن مأزق هذا الإعلام سيظل اليوم وغداً ومستقبلاً كما كان بالأمس مادام يدور في فلك

الأهواء السياسية التي توجهه، ومادام هو أيضاً يقبل بهذا التوجه ويتلقاه بطاعة عمياء وتزلف لا حدود له.
قــد يـقـــول قائل إن أي مؤسسة إعلامية لا تستطيع بأي حال من الأحوال أن تنفك عن التوجه السياسي الذي تنتمي إليه، حتى لو كان ذلك في البلاد الغربية التي تدعي حرية الرأي و »ديمــوقـراطـيـة« الفكرة، ويُرد على هؤلاء بالقول إن »تبعية« الإعلام العربي للتوجيه السياسي لا يمكن مقارنـتـهـا بغيرها من أنواع التبعية الإعلامية الأخرى، فالإعلام العربي كالشاعر الجاهلي يبالغ في المديح ويقذع في الهجاء، وقد كان مديحه وهجاؤه في أحداث اليمن يتعدى مسألة المبالغة في الوصف إلى التضليل والخداع وتزييف الحقيقة، وقد تمثل ذلك في الزخم الإعلامي الهائل الذي وقف بقوة في صف الحزب الاشتراكي يساند فكرته، ويناضل عن رموزه، ويروج لـمـبادئه في داخل اليمن وخارجها، حتى استيقظت الشعوب العربية على الحقيقة التي لا تـقـبـــل الزيف، ولا ترضى بالمخادعة، واكتشفت الشعوب العربية أن الحقائق الصامتة التي كانـت تجـــري على أرض اليمن ونالت تعتيماً إعلامياً يعجز الإنسان عن وصفه، كانت مغيبة عنه وأدركـــت أيضاً أن هذا الإعلام إنما كان فقط يزاول مهمة التأثير في صياغة الرأي العام، وإعادة تـشـكـيـلـــه حتى ينسجم مع السياسة المرسومة له، حتى لو كانت هذه السياسة قد بان عوارها وتكشف زيفها.
وإن تعجب فعجب لبعض مؤسسات الإعلام العربي التي حاولــت أن تـلـتـــزم بمـعــايير الموضوعية والحياد في تغطيتها لأحداث اليمن عندما كانت في أيامها الأولى، لكنها مـــا لبـثـت أن أصيبت بالــداء الذي أصاب غيرها، فغيرت من خط مسارها، وانحرفت بشكل ملفت للنظر وبدون سـابـــق تخطيط أو إشعار وانضمت إلى قافلة المهرجين وركب المزيفين، فخسرت جمهورها أولاً وخسرت المؤسسات الإعلامية الأخرى التي كانت تنقل عنها ثانياً.
أما الوجه الكالح والمزيف لهذا الإعلام فقد تمثل في عجزه عن التعامل مع الواقع بعد أن تكشفت الحقائق وانتهت الحـــرب، واستمر في ممارسة دوره في التضليل والترويج للفكرة المهزومة، وبات يردد كلمات وعبارات مثل: »الانتصار الملغوم« و »سقطت الدولة ولم تسقط الفكرة« و »اختفى الحزب الاشتراكي كرقـم عسـكـــري فـي الساحة اليمنية لكنه يظل رقماً سياسياً مهماً ومطلوباً لتحقيق التوازن مع الإسلاميين« و »بـقـــاء الحزب الاشتراكي أصبح ضرورة وطنية وإقليمية ودولية لمواجهة أي احتمالات أصولـيــة«، وغـيـــر ذلك من الجُمل والعبارات والمصطلحات التي أصبحنا نسمعها في هذا الوقت بالذات أكـثـــر من أي وقت مضى.
وفي ظني أن هناك سبباً آخراً لهذا الزيف والتضليل الإعلامي العربي المتعمد الذي صاحب أحــــداث اليمن الأخيرة، وهو أن بعض الصحف العربية قد فتحت أبوابها مشرعة لكل مغضوب عليه، ولكل ناقم على مجتمعه، ولكل منفي وصاحب »ثأر«، ولكل مغرض وصاحب هوى لـكـي يـمـــــارس تضليل

الآخرين من خلال هذه الصحافة الموبوءة، ولذلك فإن هذه الصحافة في نظر أمثال هؤلاء تمثل مصدراً للرزق ووسيلة للتشفي.
ومادام حال الإعــلام الـعـربي بهذه الصورة، فإنه سيظل يمارس وظيفته في تضليل الرأي العام وصياغته من خلال السـيـاسـة التي تُملى عليه، لكن المهم أن تدرك الشعوب العربية هذه الحقيقة، وأن تبحث عن البديل الذي يحترم عقل الإنسان.

@المسـلمون والعالم

بعد الحرب:
اليمن يمر بأخطر مرحلة

أيمـن بن سـعـيـد

بعد أن توقف الاقتتال في اليمن، ووضـعـت الحرب أوزارها، بدأ الكثيرون في الحديث عن مستقبل اليمن في ظل الوضع الراهــن الذي أفــــرزتــه (الأزمة)، ونحاول في هذه المعالجة استشراف المستقبل حيالها وإلقاء الـضـوء على معطياتها سواءً أكان ذلك فيما يتعلق بالوضع الداخلي اليمني، أو فيما يتعلق بالموقف الخارجي.

من معالم المستقبل اليمني:

لقد أفرزت هذه الحرب العديد من الافــرازات، ستشكل بمجموعها المستقبل اليمني، ولعل من أبرز معالم تلك المرحلة في ضوء المعطيات المتوفرة ما يلي:
* ازدياد ثقل الحركة الإسلامية، وكسـبها للمزيد من الـتـأيـيد الشعبي في الشارع اليمني، بالإضافة إلى تعاطف بعض القادة العسكريين مـعها، وتحسن الـنـظـــرة إليها لدى كثير من الرموز الاجتماعية المؤثرة، وفي مقابل ذلك ازديــاد الضغوط الخارجية على الرئيس اليمني للعمل على تحجـيم دور الإسلاميين وعدم السماح لـهــم بالسعي إلى التفرد بالشارع اليمني وحصد الكثير من المكاسب بعد سقوط الحزب الاشتراكي المنافس العقدي المنظم لهم، وعدم القابلية لدى جل اليمنيين للكثير من رموزه.
مما يعني والله أعلم أن من أبرز معالم المرحلة القادمة الصراع بين الحـــركـــة الإسـلامية والقيادة الحالية عند رضوخها للضغوط المتوالية عليها، مما سيؤدي إلى انحسار شعبـيـتـها وعدم استقرار الوضع الداخلي.
وإذا سلكت القيادة اليمنية هذا المسلك، فإنها ستعمل على إبراز الكثير من الرموز العلمانية فـي الـداخــل ذوي العداء الصارخ للتوجه الإسلامي، من أجل مزيد من الاستفزاز لشباب الحركة الإسـلامـيــة، وبالـتـالـي جرهم إلى

ممارسات يريدها أولئك لتكون ذريعة لضرب المكتسبات الإسلامية الحالية في كثير من المجالات.

وربما تكون الخطوة الأولى في هـــذا الاستفزاز تحجيم الوجود السياسي للحركة الإسلامية وسلوك العديد من الخطوات القانونية للتضييق عليها، ومنها القيام بالدعوة إلى انتخابات نيابية مبكرة من أجل التخلص مـــن الوجود الإسلامي المميز في البرلمان الحالي، والإتيان ببرلمان جديد يساعد على تمرير تلك التوجهات للتأثير على الشارع اليمني.

أما في حالة عدم الرضوخ لتلك الضغوط، فإن من أبرز معالم المرحلة القادمة: وجود تماسك داخلي بين الدولة وعامة الشعب، وربـمــا يؤدي ذلك إلى تحريك المعارضة في الخارج عن طريق كوادرها في الداخل للقيام باضطرابــات داخلية، مما سيؤدي إلى توجيه بعض التهم للنظام كانتهـاك حقوق الإنسان ودعم التطـــرف ورعـايـــة الإرهاب..الخ، وفي نظري فإن القيادة ستحاول الإمساك بالعصا من الوسط من أجل القيام بإجـــراء شيء من التوازن بين الضغوط الخارجية والداخلية، وستجد لها مؤيدين في هذا الاتجاه من القوى الدولية المؤثرة كالولايات المتحدة على سبيل المثال.

وفي حال اضطرار القيادة اليمنية إلى اتخاذ قرار لمصلحة إحدى الجهتين فإن من المؤكد أنه سيكون لمصلحة الضغط الخارجي، مما يعني الدخول في صراع ومواجـهـــة مـــع الحركة الإسلامية.

وقبل إنهاء الحديث عن هذا المعلم المحتمل، لابد من تسجيل ظاهرة برزت بعد الحرب وبـقـــوة وهي تداعي العلمانيين من ساسة وإعلاميين في داخل اليمن وخارجه، لإثارة المخاوف لــدى القيادة اليمنية من بروز التيار الإسلامي الذي كان له دور مؤثر في هذه الحرب، ولعل أبرز المخاوف التي يبثها أولئك:

التخويف من ازدياد شوكة الإسلاميين مما قد يفقد القيادة الحالية نفوذها ويحرمها من التفرد بالكلمة الأولى في البلاد.

أن ذلك سيؤدي إلى عدم استقرار اليمن لأن العلمانيين في الداخل ومن خـلفهم في الخارج سـيقلبون الطاولة، وسـيستمرون في المعارضة وبقـوة مما يعني إحراجاً شديداً للدولة.

إيهام القـيــادة اليمنية بأن حاجتها إلى الإسلاميين قد ضعفت إن لم تكن قد انتهت بعد ضرب قوة الحزب الاشتراكي.

التهديد بأن التحالف مع الإسلاميين سيعني خنق البلد اقتصادياً والتضييق عليه سياسياً، واتهامه بدعم الإرهاب والتطرف وانتهاك حقوق الإنسان.

ومع أننا لا ننتظر من التيار العلماني غير هذا التحـريض والمكر والخـداع إلا أنه لابد من القول بأن عدم إعطاء الإسلاميين المكاسب التي يستحقونها سيؤدي إلى عدم الاستقرار في اليمن، وسـيكـــون الأمـــــر كما هو موجود في دول أخرى كالجزائر، نظراً لطبيعة البلد الجغرافية والاجتماعية ولا نتشار السلاح مع الشعب بشكل قد لا يكون له نظير في أي بلد من بلدان العالم.

* من المتوقع أن يكون من أبــرز معالم المرحلة القادمة إضعاف وإسقاط الكثير من الرموز السياسية والاجتماعية التي أيدت الحزب الاشتراكي وتحالفت معه، بالإضافة إلى بعض من القيادات والشخصيات غـيــر الـمـرغــوب فيها وبخاصة التي وقفت مع الإنفصاليين وأيدتهم.
* بروز قيادات جديدة في المحافظات الـجـنـوبـيــة والـشـرقـية خلفاً لقيادات الحزب الاشتراكي، والغالب أنها ستكون من أتباع الرئيس السابق »علي ناصر« الذي يُلَمّـع بشكل ملفت للنظر.
* وجود مزيد من الحريات وبالأخص لأصحاب الفكر غير المعارض للحكومة سواءً أكانوا محسوبين على الإسلام أو علمانيين، ووجود نوع من التنافس بين أصحاب الاتجاهات الفكرية المختلفة وبخاصة في المحافظات الجنوبية والشرقية بعد الفراغ العقدي والنفسي الكبير الذي أحدثه سقوط قوة الحزب الاشتراكي.
* ازديــاد تردي الـوضــــع الاقتصادي كاستمرار انهيار العملة، وازدياد أسعار السلع الأساسية، وارتفاع معدلات البطالة، وقلة فرص العمل، وتوقف الكثير من المشاريع التي كانت قائمة وبالأخص في محافظتي عدن وحضرموت، نظراً لأن دخول البلاد ستصرف على الأقل في المنظور القريب على قادة الجيش وبعض الشخصيات السياسية البارزة من أجل كسب ولائها للرئيس ولحكومته، بالإضافة إلى انصراف الجزء الأكبر منها على فوائد المديونية الكبيرة على اليمن، وتوقف بعض أصحاب رؤوس الأموال عن تقديم الدعم نتيجة عدم رضاهم عن النتائج التي أفرزتها الحرب.
* سعي القوى الانفصالية في الخارج والداخل إلى تعميق روح »المناطقية« بين أبناء الشمال والجنوب، وإثارة النعرات المذهبية، وإثبات أن أبناء الشمال يريدون إلغاء الوجود البارز لأبناء الجنوب، وأنهم يعاملونهم كمواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة، من أجل كسب التعاطف معهم ضد قوات الحكومة والرموز الوحدوية المختلفة.
* من المعالم المهمة في مستقبل الأوضاع اليمنية، وضع التراتيب الإدارية من قبل الحكومة لتثبيت ودعم الوحدة في اليمن، بعدما زالت أكبر العقبات في سبيل ذلك.

نظرات في مستقبل الحزب الاشتراكي:

حين قرر الزعيم الاشتراكي علي سالم البيض ومن حوله اتخاذ قرار الانفصال، انقسم قادة الحزب الاشتراكي في المكتب السياسي واللجنة المركزية إلى مؤيد لقرار الانفصال ومعارض له، والذين قاموا بتأييد قرار الانفصال ساروا مع البيض إلى النهاية، وبعد الهزيمة التي حلت بهم فر من بقي منهم إلى خارج البلاد، أما الذين عارضوا قرار الانفصال فقد أعلن بعضهم تأييده للوحدة، وهؤلاء كان غالبهم في صنعاء فيما بقي بعضهم معتكفاً في منزله ومنهم من غادر البلاد والتزم الصمت.

وبين يدي الحديث عن مستقبل الحزب الاشتراكي لابد من الحديث عن كل من الإنفصاليين والوحدويين كلاً على حدة.

أولاً مستقبل الانفصاليين:

لم يبقَ أحد من هؤلاء داخل اليمن بل فر من بقي منهم على قيد الحياة إلى خارج البلاد، ومستقبل هؤلاء مرتهن بنوايا الدول التي ساندتهم أثناء الأزمة فإن رأت أن من مصلحتها التوقف عن مساندتهم أو أن الوضع لا يسمح لهم بالقيام بمثل ذلك، فإن هذه الفئة ستختفي وستعتبر هزيمتها العسكرية بمثابة نهاية حياتها السياسية، أما إذا رأت تلك الدول أن من مصلحتها الاستمرار في رفض نتيجة الحرب وأن بإمكانها استخدام هذه الفئة كورقة ضغط لتحقيق بعض المكاسب، فإن الإنفصاليين في الحزب الاشتراكي سيكونون في دائرة الضوء لمعارضة النظام القائم، وعند ذلك يمكن لهم أن يقوموا بأمور عدة منها:
القيام بحرب استنزاف عن طريق العصابات المختلفة، مثل تفجير المنشآت واغتيال بعض الرموز الوحدوية، واحتجاز وقتل بعض الأجانب الذين تسمح الظروف بممارسة ذلك ضدهم.
شراء ذمم بعض القبائل لتسمح للعصابات بالعمل من أراضيها والاحتماء بها بعد انجاز مهماتها التخريبية.
شراء ذمم بعض الرموز السياسية لتأييد موقفها بأي شكل، هذ من جهة ومن جهة أخرى ليتسنى للمعارضة كشف استراتيجية الحكومة في مواجهة نشاطاتها المختلفة.
الاستمرار في إثارة النزاعات العرقية والقبلية، وإثارة المذهبية والمناطقية في سائر الأراضي اليمنية.
استخدام قراري مجلس الأمن 924 و 931 مدخلاً لنظامية المعارضة الخارجية، لكونهما ينصان على ضرورة الحوار بين طرفي النزاع وعدم حسم الصراع بالقوة لمصلحة طرف واحد والقول بأن إنهاء الأزمة عسكرياً لن ينهيها سياسياً، والوضع في الجزائر خير مثال.
عودة المعارضة المسلحة ستدمر البلد اقتصادياً بوسائل عديدة لا تخفى على المتابع الحصيف، وضرب البلد سياسياً عن طريق التأثير على موقف بعض الدول العربية والإسلامية، وإيهام صناع القرار في الدول الغربية أن مصالحهم تكمن في عدم الاستقرار في اليمن وأن تمكنهم من استنزاف خيرات البلاد لن يتم إلا عن طريق المعارضة في الخارج في حال وصولها إلى الحكم.

ثانياً مستقبل الوحدويين:

وهذا الجناح هو الذي ستسمح له القيادة بأن يكون المتحدث باسم الحزب الاشتراكي، وأعتقد بأن هناك خيارات عدة أمام هؤلاء في حالة رغبتهم الاستمرار في الحياة السياسية ولعل من أبرزها:

بقاؤهم متحدثين باسم الحزب الاشتراكي، وارثين لمواقعه في السلطة وعند ذلك من المتوقع أن يكون بعضهم ممثلاً للمؤتمر الشعبي العام داخل الحزب، كما أن الآخرين سيبقون على ما كانوا عليه من فكر وسلوك سياسي، ولكن بشرط عدم مجاوزتهم للخطوط الحمراء التي لا يُسمح بتجاوزها، وهذا هو والله أعلم أقوى الخيارات.
من المحتمل أن يعلن هؤلاء عن حزب جديد يقوم على أنقاض حزبهم البائد، من أجل التخلص من اسم الحزب ذي الدلالات العقدية من جهة والتبرؤ من الانتماء للحزب الذي تسبب فيما تسبب فيه من خراب ودماء ولتفادي السخط الجماهيري ضده.
أن ينضم أولئك الوحدويون في الحزب إلى بقية الأحزاب السياسية الأخرى وبالأخص حزب المؤتمر الشعبي العام.

حرب اليمن بين المصالح والمفاسد:

لا يخلو كثير من الأمور من وجود خير وشر، إلا أن الأزمة اليمنية أثمرت العديد من الجوانب الخيرة، كما أنها أدت إلى الكثير من الآثار السيئة وسنحاول هنا إيضاح أهم ما تحقق أو يمكن أن يتحقق من مصالح وإيجابيات ومن مفاسد وسلبيات:

أ -من المصالح والإيجابيات:

* سقوط قوة الحزب الاشتراكي وكبار قياداته، مما يعني تحرر المحافظات الجنوبية والشرقية من هيمنته، وحصولها على مزيد من الانفتاح والحريات.
بروز قوة الإسلاميين في الساحة اليمنية، وكسبهم السمعة الحسنة وتعاطف الكثيرين من أبناء الشعب اليمني معهم.
* انفتاح مجالات جديدة للدعوة إلى الله تعالى أحدثها السقوط الكبير لقوة ونفوذ الحزب الاشتراكي، التي يمكن للدعاة والمصلحين الاستفادة منها وجني ثمارها.
* تهيؤ الفرصة للنظام للتمكن من توحيد الجيش والعملة وكثير من مؤسسات الدولة، ومركزية الدخل العام للدولة مما يعني تحسناً اقتصادياً متوقعاً بعد زوال بعض آثار الأزمة.
* ضعف الأفكار البدعية من رافضة وصوفية والتي ارتبط رموزها بالحزب الاشتراكي وسقوط بعض الرموز النفعية والمتسترين بالدعوة إلى الله من ذوي الهوى والنزعات الطائفية.

ب -من المفاسد والسلبيات:

* خسائر الحرب البشرية والمادية الكبيرة وما سببته الأزمة من ضعف وإنهاك للاقتصاد ومن معاناة لأبناء اليمن وبخاصة في محافظات عدن ولحج، وأبين.

* آثار الحرب العقدية والنفسية، حيث برزت المناطقية، وظهرت ولاءات جديدة غير إسلامية كالولاء والتقديس للوحدة أياً كانت، والتأييد لما يسمى بالديمقراطية، والتعددية السياسية والشرعية الدستورية.
* إبراز حزب المؤتمر الشعبي العام لبعض كوادره المنحرفة عقدياً، وعودة ما كان يعـرف بـ »الزمرة« أنصـار »علي ناصر« إلى الحيـاة السياسية.
* زيادة فرص تحجيم دور الإسلاميين أو محاولة ضربهم من قبل النظام في المرحلة القادمة، لما ألمحنا إليه.
* قتل وإعاقة الكثير من الكوادر الخيرة والشجاعة في الشعب اليمني سواء أكانت داخل الجيش أو في القوى المساندة له أثناء الحرب.

المطلوب من الإسلاميين في هذه المرحلة:

* إدراك خطورة المرحلة:

لقد بذل الإسلاميون كل ما يستطيعون من أرواح ودماء وأموال ومواقف وآراء من أجل التأثير على الرأي العام اليمني، لدرء أعظم المفاسد والتقليل من مخاطر هذه المرحلة، إلا أن الأعداء قد رموهم عن قوس واحدة محاولين تحجيم دورهم والتقليل من شأنهم، وحرمانهم من قطف الثمار التي يستحقونها وبالتالي لابد لهم من إدراك خطورة المرحلة المقبلة وإعداد العدة لذلك حتى لا يتمكن الأعداء من تطبيق قاعدتهم الشهيرة "»الإسلاميون: تضحيات بدون مكاسب" ولن يتحقـق للإسلاميين ذلك إلا باجتماعهم على كلمة سواء ومعرفة أن الأعداء قد يسعون إلى ضرب فصيل منهم اليوم وتحييد الفصائل الأخرى ليجهزوا عليها غداً الواحد تلو الآخر(إنما أُكلتُ يومَ أُكلَ الثور الأبيض).
وليعلم الجميع أن كيد الأعداء لا يستهدف شخص أو فصيل وإنما المراد به الإسلام ذاته، وبالتالي فلابد من إجراء خطوات سريعة من الإسلاميين لرأب الصدع وإصلاح الأوضاع فيما بينهم عن طريق التحاكم إلى نصوص الشرع وتناسي الإحن والأحقاد الناتجة عن آراء اجتهادية أو مواقف شخصية لهذا الداعية أو ذاك، وفي حال عدم التوصل إلى شيء من ذلك فلابد من تأخير النقاش فيها قليلاً والتوجه إلى مواجهة الخطر الأكبرالذي قد يجتاحهم.

* التأني والواقعية:

سقوط قوة الحزب الاشتراكي وقياداته لا يعني التهاون في الإعداد للمرحلة المقبلة، وبالتالي فإن على دعاة الإسلام في اليمن أن يتبصروا في أمرهم وأن يتأنوا وأن يلتزموا بالانضباط بالقواعد الشرعية، حتى لا يقعوا في منزلقات خطيرة.

* المزيد من المكاسب للدعوة الإسلامية:

في هذه المرحلة التي برزت فيها مكانة الإسلاميين، يمكن لهم تحقيق العديد من المكاسب، ومنها على سبيل المثال:

* تثبيت المعاهد العلمية ومدارس تحفيظ القرآن رسمياً، وزيادة أعدادها وميزانياتها، والمبادرة إلى فتح أعداد كبيرة منها في المحافظات الجنوبية والشرقية، مع السعي إلى إعطائها استقلالاً إدارياً كما كان الوضع في السابق.
* المطالبة بالإشراف على قطاع التربية والتعليم واخراج الكوادر والقيادات ذات الفكر المنحرف منها، وإصلاح المناهج المصادمة للإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً.
* السعي إلى إجراء إصلاحات واضحة في مجال التعليم العالي، وتنحية الرموز المشبوهة القائمة عليه.
* تربية شباب الصحوة وعامة الشعب على إنكار المنكرات العامة المنتشرة في اليمن، والسعي إلى توجيه أهل الجرأة من العلماء والدعاة والأعيان لتكوين نواة لهيئات رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
* استغلال الفرصة لإصلاح السلك القضائي ومعالجة ما فيه من سلبيات كانتشار الفساد والرشوة لدى بعض القضاة، ووجود من لا يجوز توليه هذا المنصب وبخاصة النساء.
* إجراء مزيد من الإصلاحات في جوانب الاقتصاد والإعلام والصحة والسعي إلى أسلمة هذه الجوانب وإشراف الكوادر الصالحة من أبناء الصحوة أو من غيرهم عليها.
* التخلص من علماء السوء والفـتنة من أهل الرفض والتصوف ومنعهم من الصعود على المنابر لإفساد عقائد المسلمين واستبدالهم بمن يخاف الله ويتقيه.
* المبادرة بإلغاء القوانين المخالفة للشرع حتى لا تكون حجة لأعداء الدين وذريعة إلى إفشاء الفساد والمنكرات بين المسلمين.
* الضغط في سبيل الحصول على قناة تلفزيونية ومحطة إذاعية للبرامج التربوية، ومعالجة القضايا الإسلامية التي يحتاجها أبناء الشعب اليمني.

*** التخفيف من الآثار السيئة للأزمة:**

كانت للأزمة اليمنية آثار سيئة في جوانب مختلفة سواء ما كان منها متعلقاً بالشعب اليمني ذاته أو ما كان متعلقاً بعلاقة الشعب اليمني ببعض شعوب المنطقة وسنذكر بعض الآثار التي تعقد فيها الآمال على الإسلاميين في إصلاحها أو التخفيف منها بعد توفيق الله عز وجل:
* المساعدة في التخفيف مادياً على من أصيب أثناء الأزمة بإصابات جسدية.
* السعي إلى ضبط أوضاع الدولة إدارياً، وإصلاح الفساد المستشري فيها.
* العمل على تخفيف الآثار التي سببتها الأزمة في نفوس اليمنيين من إحن وأحقاد نتيجة إعلام الأزمة.

* محاربة الآثار السيئة التي نشرها المغرضون بين أبناء الشعب اليمني كالمناطقية والقبلية، والسعي إلى تجاوزها عن طريق غرس الإيمان وإذكاء روح الانتماء للإسلام.
* محاربة الآثار العقدية السيئة والممارسات الخاطئة التي لا يقبلها الإسلام والتي نتجت عن الأزمة، من مثل تمجيد الوحدة وتقديسها حتى أصبحت لدى الكثير غاية في ذاتها، مع أنها على الحقيقة وسيلة إلى تحقق مقاصد شرعية ولذا وقف الإسلاميون معها، أما لو كانت وسيلة لتحقيق مفاسد شرعية كاجتماع أهل الشر والعلمنة وكيدهم للدين والخير، لتغيرت النظرة ولكان العلماء والدعاة من أوائل من يقف ضدها، ومن ذلك تمجيد ما يسمى بالشرعية الدستورية، ولا يخفى على الجميع تنديد علماء اليمن في بداية قيام الوحدة بالدستور الحالي من جهة، كما لا يخفى أن هذا السلاح قد يستخدم لضرب الصحوة نفسها إن لم يكن اليوم فغداً، وعليه فالواجب بيان هذا الجانب للناس وأنه لا يجوز تقديس سوى النص الشرعي الصحيح، أما ما سـواه فهو عرضـة لأن يكون حـقاً أو باطلاً والمسلم يقبل الحق ويرد الباطل، ومن ذلك أيضاً تمجيد الوحدويين بشتى فصائلهم مع أن مـنهم الاشـتراكي والبعثي والناصـري...الخ وفي الشرع لا فرق بين من كان من أولئك وحدوياً أو انفصالياً، والواجب الشرعي مناصحة الجميع حتى يعودوا إلى الله عز وجل، صحيح أن المصلحة الشرعية قد تقتضي غض الطرف عن فريق دون فريق، إلا أن الولاء والبراء القلبي تجاه الجميع يجب أن يكون واحداً.

*** الاهتمام بالعلم الشرعي والتربية العميقة:**

لقد شغل الدعاة إلى الله عز وجــــل في اليمن منذ بداية الوحدة إلى اليوم بأزمات ومحن من قبل أعـدائـهــــم ابتداء بمعركة الدســتـور ومروراً بالانتخابات البرلمانية وتشكيل الحكومة وانتهاء بهذه الأزمة التي استمرت شهوراً طويلة وختمت بهذه الحرب المأساوية، ولذا فإنا نؤكـــــد على دعاة الإسلام في اليمن وعلـمـائــه الأفاضل، ونأمل منهم الاعتناء بنشر العلم الشرعي من مصادره الأصيلة، والمبادرة إلى تعـلـيـم الناس العقيدة الصافية الصحيحة التي كان عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام، وأن يحـرصـــــوا عـلـــى الاهتمام بالجوانب التربوية وإدراك بأن المرحلة في اليمن مرحـلــــة العلم والتربية وأنه لا يجوز إهمالها في خضم المعتركات السياسية، مع أن عـلـيهـم بذل كل ما يستطاع من جهد لتعميق الإيمان وترسيخه في نفوس العامة الذين يـقـــدرون العلماء والدعاة، وأن يبادروا إلى إعداد رجال ربانيين يقومون بأمر هذا الدين في صفوف القبائل حتى يتفرد ولاؤها للدين.

وأخـيـراً:

@دراسات دعوية

أسئلة الأهلة في قالبها العبثي الجديد

تأملات في طبيعة الأسئلة المطروحة حول آليات الدعوة والموقف منها

سليمان بن عبد العزيز الربعي

ربما لم تكن الدعوة إلى الله بحاجة إلـى تنقـيــة من الشوائب والآفات أكثر منها في واقعها المعاصر، نظراً لمبررات عديدة تشكل تهديـداً حقـيقـيـاً لحاضرها وقابلها، تلك الدعوة التي يحمل المسلم الواعي همها سبراً وأملاً إشفاقاً وبين الفـيـنـة وأختها تُطل على ساحتها معالم أخطار جسيمة هي من قبيل تلك التهديدات، تدعـــو إلـى الوقفة الجادة والرؤية العميقة المصححة حيالها، وإن من ذلك ما يُسمى باصطلاح أهـلـهـــا "الـمـعـوقات"، وهي في الأعم الأغلب تندرج تحت قسمين رئيسين:

(1) معوقات داخلية .

(2) معوقات خارجية .

ويُـقـصـد بالـــداخلية : ما يكتنف مسيرة العمل الدعوي من عوامل مثبطة ترتبط بآليات محسوبة على الـصــــف العامل منهاجاً أو ممارسة عينية، والخارجية : تأخذ أشكال الزحف المباين، والرصد المريب القاصد إلى شر مضمر، ونحن إذا ما نظرنا نظرة موضوعية، وجدنا المعوقات الداخلـيـة بتوصيفها ا لآنف تربو خطراً على تلك الخارجية المعلومة من أبجديات الدعوة بالـضــــــرورة ؛ لأن البصير الناقد يجد صعوبة في التمييز والتصنيف لما يستجد من عوائق داخلية، وحتماً يصاب بالحيرة والتردد دون الجزم بنتائج مبنية على مقدمات افتراضية، وهو كذلك يواجه عند الإقدام واتخاذ الاجراء عينات لا تحصى من سوء الفهم المفرز أسئلة يصعب الاجابة عليها، وهذا هو سر إقدام النبي -صلى الله عليه وسلم- على أعمال حاسمة في مواجهات مباينة عن الصف الإسلامي، في الوقت الذي لم يعمد فيه إلى ذلك عندما يـصـبـح الـشـــأن داخلياً خوف البلبلة داخل التنظيم الجديد، وخشية الاستغلال السيئ من قبل مراجـــع ومراكز عديدة قد ترى في الإجراء تعدياً على التقعيد والوحدة لا مبرر له البتة، وهو -صلى الله عليه وسلم- يعطي السبب ذاته لعمر رضي الله عنه الذي طالب باتخاذ إجراء حاسم في حق ابن أبي في غزوة بني

المصطلق جزاء ما تفوه به من فتنة بقوله عليه الصلاة والسلام : »فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه! « (1).
والقرآن الكريم يحكي للنبي -صلى الله عـلـيــه وسلم- نماذج من تحركات مريبة داخل الدولة الناشئة، لا يعلم عليه الصلاة والسلام رموزها ولا مدبريها، من بعض أهل المدينة الذين مردوا على النفاق، في حين لم يكن يخفى عليه كافة رموز طوائف الكفر الصراح في مدى الصراع الناشب حديثاً، وهذا وذاك من الـمـعوقات لكن الأول لطيف خفي، والثاني خارجي صريح جلي.
أريد من وراء هذا كله أن أخلص إلى القول : إن الدعوة الإسلامية تواجه في حاضرها ضغطاً خارجياً متزايداً، غير أنه يسير لجهة فضحه من تحركات داخلية خطرة بكل معنى لهذه الكلمة المقلقة.
وأحاول في هذه العُجالة - إن شاء الله - رصد لون من ألوان هذه المعوقات الداخلية التي إستشرت في الصف المنهجي والآلي بشكل فعال ينبىء عن أن وراء الاكمة ما وراءها، بل وامتدت بهاجسها القلق صوب ميادين دعوية خارجـيــة تنظر إلى صفوف الداخل نظرة استشراف وثقة، تنمذج من مثالها المرصود أساليبها وخططها المستقبلية، إن محصلة ما سطرت يكمن في نشوء مناخات متنامية من الأسئلة العبثية التي لا طائل وراءها، ومن تطور عوالم حوارية توصف بالسلب مذ كانت وسيساً قلما يُسمع على قدر ما هو حادث في هذا الوقت بالذات.
وهذه الظاهرة ينبغي أن تُطرح طرحاً جاداً، وتناقش مناقشة تفصيلية متجردة، ويُبحث فيها عن الأسباب والدوافع والنتائج المنتظرة وراء هذه الـظـاهــــرة التي يطَّرد الاهتمام بتحليلها وسط مجتمعات دعوية، تلك التي أصبحت - بعد أن لم تكن - كوابيس مثقلة بالأسى والضجر، تزور منامات المصلحين بتعدد صورها البشعة التي لا تشاكلها إلا رؤوس الشياطين.
لقد نعى القرآن الكريم على المسلمين منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام توجيه أسئلة عبثية إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، طارحاً نموذجاً لتلك الأسئلة المنهي عنها متكرماً برد نافع ينهج مناهج الحكمة والبلاغة الأصيلة.
إن ما أعنيه يكمن في ذلك الدرس العظيم الذي تعلمنا إياه سورة الـبـقـرة في قول المولى عز وجل : ((يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج..)) [البقرة : 189]، فقد جاء في أحد تفسيري الآية الكريمة أن الناس سألوا النبي -صلى الله عليه وسـلـم- عن الأهلة والكواكب، لمَ يبدو القمر هلالاً صغيراً، ثم لا يلبث إلا قليلاً وقد أخذ في الزيادة والتوهج والاكتمال، وهو على أي حال سؤال ساذج يدل على سطحية في التفكير، وبـدائـيــة فـي الـنـظـــر، ومحدودية في التناول التأملي، وبساطة في البحث عن المعرفة الفكرية المهمة المناسبة للـمـكان والزمان وكان يمكن أن يأتي الرد على ظاهر سؤالهم العبثي، لكن النظر الصحيح يقرر غـيـــر ذلك، حيث جاء بأسلوب الحكيم عند البلاغيين، وهو جديد على العرب ينبىء عن شـيـئـيـن

اثنين : صد عن استفسارات لا تفيد، وتوجيه نحو المفيد من المقاصد العليا، إنه قد صرف الإجابة إلى باطن القصد الذي لم يرد في العقول المستفهمة عن سبب تطور الأفلاك لا عن مقصد وحكمة إيجادها.
أورد الإمام محمد بن جرير الطبري - رحمه الله - بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : »سأل الناس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الأهلة، فنزلت هذه الآية : ((يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج...)) الآية.. يعلمون بها حل دينهم، وعدة نسائهم، ووقت حجهم« (2).
ويبدو السؤال أكثر وضوحاً في مراده الدقيق في رواية - وإن كانت بسند ضعيف - أخرجها الإمام السيوطي، إذ »أخرج ابن عساكر عن ابن عباس قوله تعالى : ((يسألونك عن الأهلة)) قال: نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة ابن عتمة وهما رجلان من الأنصار قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي، ثم لايزال ينقص ويرق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحدة؟ فنزلت ((يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس...)) في حل دينهم ولصومهم ولفطرهم وعدة نسائهم والشروط التي إلى أجل« (3).
إن القوم، إذن »يسألونه عن ا لأهلة.. ما شأنها؟ ما بال القمر يبدو هلالاً ثم يكبر ثم يستدير بدراً؟ وفي الإجابة اتجه إلى واقع حياتهم العملي لا إلى مجرد العلم النظري، وحدثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وفي حياتهم، ولم يحدثهم عن الدورة الفلكية، وكيف تتم وهي داخلة في مدلول السؤال : ما بال القمر يبدو هلالاً... الخ، كذلك لم يحدثهم عن وظيفة القمر في المجموعة الشمسية، أو في توازن حركة الأهلة والأجرام السماوية، وهي داخلة في مدلول السؤال : لم خلق الله الأهلة؟
فما هو الايحاء الذي يُنشئه هذا الاتجاه من الإجابة؟ لقد كان القرآن بصدد إنشاء تصور خاص، ونظام خاص، ومجتمع خاص.. كان بصدد إنشاء أمة جديدة في الارض، ذات دور خاص في قيادة البشرية، لتنشىء عالماً خاصاً من المجتمعات غير مسبوق، ولتعيش حياة نموذجية، ولتقر قواعد هذه الحياة في الأرض، وتقود إليها الناس، والإجابة العلمية على هذا السؤال ربما كانت تمنح السائلين علماً نظرياً في الفلك إذا استطاعوا استيعاب هذا العلم، وهو محل شك؟ لأن العلم النظري بحاجة إلى مقدمات طويلة، ومن هنا عدل عن الإجابة التي لا تفيد كثيراً في المهمة الأولى التي جاء القرآن من أجلها... « (4).
إنه لفت نظر إلى المهم، وتجنب طرح حوارات وأسئلة هي أقرب إلى العبث منها إلى الجد، وهو رسالة تربوية للعلماء والمعنيين لاستخدام الأسلوب ذاته، واليوم يمارس بعض المسلمين الدور نفسه، حيث اطردت أسئلة الأهلة بصورها المتعددة الشوهاء، وأصبح هم ا لكثيرين »تصميم« أسئلة من هذا الطراز لتلقى في مجمع يحفل بالأهم، لو أن قومي أولئك يعلمون!

إن الصورة تتكرر »لتشنف« الأذان بنشاز قديم، وتطرح في اهتمام عجيب مئات من الحوارات المتكررة حول الدعوة وواقع الدعاة، خالية من ثمرة تُجتنى أو فائدة تُرتجى.
بل وتقطع المسافات من أقصى الجنوب إلى أواسط الشمال ليتمخض الجبل الأشم عن مواقف استفهامية كمواقف الأعراب في العهد الأول، ثم لا تلبث أن تورث هذا الصخب القلق العقيم الذي ينحدر من صبب في نمط مسف يهتك حجب ا لأحراز والحرمات لا في المناهج والآليات فحسب، بل في الاعيان والشخوص نقداً وتقييماً ومغالطة وتجريحاً لا يرقب في داعية إلا ولا ذمة.
إنه لا يعني الدعوة إلى الله أن تحارب من مراصد خارجية، فتلك سنة المواجهة، لكن الذي يعييها ويقلقها ويعنيها أن ينتدب أناس من داخل الصف أنفسهم لهذه المهمة الدنيئة التي تصب في خدمة العدو المتربص، لقد خسرت هذه الدعوة جهداً كبيراً صرفه أولئك في سبيل نبش قبر فلان وتشويه صورة علان عندما اجتاحت هذه الأسئلة عقولهم وقلوبهم بصورة قوية، فحسبوا أنهم ببثها واشهارها مناضلون مجاهدون، وما هم - في الحق - إلا أدوات غيرية، يحرقون أنفسهم ومراجعهم وما يشعرون.
ولقد كان من نتائج هذا التوجه أن أصيبت الأمة والدعوة على اختلاف مناهجها برجال مقدسين وأعلام معتبرين، جعلوا من محاريب علمهم مجالاً تطرح من خلاله تلك الترهات، وقد أخذت صفة الشرعية والثقة والتزكية عند بعضهم.
إن مما يحفظ على الدعوة إلى الله جلالها، ونبلها، ومصداقيتها وتوحيد هدفها الرشيد، أن يتعامل الأعلام من أئمة الإسلام مع أسئلة الأهلة الجديدة بأسلوب الحكيم ذاته، الذي انتهج في القرآن الكريم، وعولجت به قضايا شائكة من قضايا الدين، إنهم ملزمون بواجب توجيه أمثال أولئك السائلين نحو مقاصد تفيدهم، وتحذيرهم من مغبة هذه العبثية الجديدة، وقد كان هذا دأب المصلحين من أهل العلم، حين شعروا بهذه المسؤولية العظيمة واستكنهوا خطر مثل هذه الممارسات المضلة وسلبيتها الماثلة، أورد أبو إسحاق إبراهيم بن جماعة الكناني - رحمه الله - عن أبى إبراهيم المزني قوله : »فجعل يسمع مني وينظر إليَّ ثم يجيبني عنها بأخصر جواب، فلما اكتفيت قال لي : يا بني ألا أدلك على ما هو خير لك من هذا؟ قلت : نعم، فقال : يا بني هذا علم إن أنت أصبت فيه لم تؤجر، وإن أخطأت فيه كفرت، فهل لك في علم إن أصبت فيه أجرت، وإن أخطأت فيه لم تأثم؟ قلت : وما هو؟ قال : الفقه فلزمته وتعلمت منه الفقه ودرست عليه« (5).
لقد أصبح من المعتاد تماماً أن يصدر كتاب تشويهي مقرظاً من العَالِم الفلاني، أو أن يكتسح الأسواق شريط بصوت ذلك الحبر الرباني في شأن من شؤون هوامش الحواشي!
إن مما علمناه عقيدة : أن الله - جل وعلا - لم يتعبدنا بالتنقيب عن السرائر فذلك له وحده، وسوء النية منقصة في المسلم الحق، وتلك الأسئلة تتمحور

حول هاتين النقيصتين، فمن سؤال يركز على ذلك الأستاذ: ما عقيدته وعلى أي شيء توفاه الله؟ وماذا كان منهجه في الممارسة؟ وفي عام كذا ماذا عمل؟ وفي مكان كيت كيف شوهد؟ نقبوا في تراثه؟ وماذا ترى يا شيخ في القوم المحبين له؟ وفي الفتية المثنين عليه؟ وهلم جراً من هذه الألوان القاتمة في أفق الساحة، أو سؤال يفني الوقت في البحث عن كلمة في الكتاب المقروء تحتمل الوجهين وتقبل الرأيين، ثم لا يلبث المرء إلا وقد اطلع على نموذج من نماذج سوء النية في الدرس والسبر والحوار من جانب واحد، لا لشيء إلا لحاجة في نفس يعقوب لما يقضها! ولعله - باذن الله - لن يقضيها.

إن هذين النموذجين هما ميدان المنافسة هذه الأيام بين فئام من مدعي العلم والمعرفة، وان الفطن الكيس يدرك كذلك أن القوم بين رجلين، رجل جاهل مغيب، وآخر اكتنفته دواعي الحالقة التي تحلق الدين لا الرأس كما في حديث المعصوم -صلى الله عليه وسلم.

نعم، فإن من القوم أولئك من هو حاسد حانق، يكشفه منطقه ويعريه لحن القول، ونحن بحيال ذينك الرجلين، نقدم للأول علاجاً من المعرفة والعلم والتوضيح، ودعوة إلى تفهم الواقع وقراءة الحقيقة من منطلق التجرد لله وطلب الحق أياً كان وممن كان، أما الثاني فإن الإمام الجهبذ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- يسدي إليه نصحاً بالتوبة والإنابة، ذلك لأن الواجب في حق كل »من وجد في نفسه حسداً.. أن يستعمل التقوى والصبر، فيكره ذلك في نفسه« (6)، ويكره العبث بالعقول!

إن هدف المتربصين بالدعوة لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إيجاد جر من الصدام العنيف بين السادة العلماء والدعاة، الذي يمكن أن تسببه تلك الأسئلة والحوارات العبثية القائمة اليوم، والمتجهة نحو إيجاد مثل ذلك الهدف، لقد أدرك أولئك المتربصون أن المزلق الخطر المسبب لذلك يتمثل في تلك المناخات من التشكيك والاتهام المبطن والعمل المضاد، وإيعاز مخيف بالإسقاط والتسلق على حساب غيرهم.. وتفويت الفرصة إنما يتم بمضادات حيوية تقابل أسئلة الأهلة في قالبها العبثي الجديد، وربط السائلين بأصول الدين، وصرف جهودهم السلبية نحو (أهداف) و(مضامين) و(وسائل) تعينهم على فهم الدين ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، لا في أسئلة العابثين.

وإن الأمانة الكبرى لا تقتضي من أولئك الأعلام أن يفنوا الأوقات الطويلة في الإجابة على مثل هذه الأسئلة، أو طرح مناقشات تقابل بالرضا المعضد، بل إن رباط العلم يجب أن يكون في سموق عال على الجراحات وإلهتافات الشخصية الجانبية، لتصل إلى سماوات النبل الشريف في البذل والخير والعطاء الزاهر.

إن ما يدفع بتلك الأسئلة نحو الشيوع والشهرة الواسعة، ما يحسه بعضهم بالوصاية على الدعوة النقية من كل شائبة، والحق أن تلك الدعوة المبتغاة، أو

السنة المطهرة، أو السلفية المتبعة ليست حكراً على أحد، بل ولا يمكن السماح بمجرد خاطرة هذه الفكرة أن تسبح في فضاءات أحد، لأنها - ببساطة - منهج مرفوض، نفاه المولى سبحانه عن الدين وحذر منه رسوله الأمين - صلى الله عليه وسلم-.

إن تلك الأحاديث التي وردت في الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ليست مـتـكــأ مناسباً لأولئك، فهي فرقة لا تعرف بالأشخاص والأعيان، بل هى دعوة ذات منهاج مـطـــروح للعرض، وحـيــن عـرفـت السنة بأحمد - رحمه الله - فإن ذلك بسبب تقاعس أهلها - آنذاك - عن القيام بـحـــق الوحدة الإتباعية لمبدأ العقيدة في إن القرآن الكريم منزل غير مخلوق، وأن تدارس المتمسك به في الإعلان، وتأول بقية من يعول عليهم، حينها عرف أحمد بها وعرفت به وأصـبــح مــن الغالب أن يقال : (إن رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة، وإن رأيته يكرهه فاعلم أنه صاحب بدعة).

وحين عـــرف المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه ا لله - بالسنة فلأنه قد جاء على فترة من الاتباع وطفرة من الابتداع، ولسنا في حل اليوم أن نطبق ذلك في حاضرنا على الأعيان، فالأمة آيبة إلى ربها، والسنة متبعة على مستوى طيب - بحمد الله -، فلم هذه الوصاية عـلـى السلفـيـة والسنة والإتباع من قبل أولئك السائلين ومراجعهم؟ إن هذه الأمة التي كانت خانعة مـسـتـذلة قد شبت عن الطوق، ولم تعد تتذكر الماضي الأسيف إلا وهي تسكب دموع التوبة والألم، وحين بلغت هذا الوعي الراشد فانها سترفع يد الوصاية التي يحاول إطباقها من يدعون حق تملك حقوق السنة والسلفية تمهيداً للتصدير واعتماد فروع خاصة في بلاد الإسلام.

إن الراعي في رأس شظية يؤذن فيقيم للصلاة لحقيق بتملك هـــذه الـدعـــوى التي بنقلها أصحاب الأسئلة لأنفسهم (7)، أولئك الراجمون بـجـهـالة المجتمع مقروناً بشعور العلوية المشوبة بحذر لا يـتـصـور، وهم إن سمـعـوا بـعــزم ذلك الراعي النجيب، أجفلوا بخيلهم وأسئلتهم حوله وحول مرعاه ورعيته طمعاً في الإلغاء والتصفية والحسم، غير أن الحق كله لذلك الراعي في القول والفعل، والفصل حينئذ بين الفريقين مرجعه إلى فضيلة القاضي .

وفي حين تـكـمــن بينة الداعي »المدعي إقامة السنة وحقها« بصلاة الشظية فإني أحسب أن يمين المنكرين سؤال عبثي جديد.

وعند الله تجتمع الخصوم، وهو وحده المستعان على ما يصفون.

هوامش :

(1) السيرة النبوية لابن هشام، 3/ 303، ت : مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، 2/ 192، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1458 هـ.

(3) الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، 1 / 490، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.
- وانظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني 1 / 192، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، الطبعة الثانية 1413 هـ.
(4) في ظلال القرآن، سيد قطب، 1 / 179 وما بعدها، دار الشروق، الطبعة الرابعة عشرة 1408 هـ »بتصرف يسير«.
(5) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، أبو إسحاق إبراهيم بن جماعة الكناني، ص 116، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
(6) مجموع الفتاوى، 10/ 125.
(7) روى أبو داود والنسائي بسند صحيح عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : »يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية جبل، يؤذن بالصلاة، ويصلي، فيقول الله عز وجل : انظروا الى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني، قد غفرت لعبدي، وأدخلته الجنة« والشظية: القطعة تنقطع من الجبل ولم تنفصل عنه.
- انظر : صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، رقمه (241) 1/ 102، تحقيق واختيار : محمد ناصر الدين الألباني، الكتب الإعلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية 1406 هـ.

@في دائرة الضوء

أقـنـعـة الـعـلـمـانـيـة

قراءة في الطروحات العلمانية الجديدة

د. محمـد يحيى

يلاحظ المتتبع للطروحات العلمانية الـفـكـريـــة فـي الـبلدان العربية خلال الفترة القريبة، توجهين أساسيين يحكمان هذه الأفكار، أولهما حديث نسبياً من حيث التعبير العلني عنه مؤخراً، وهو يبشر صراحة بالفكر العلماني »الكلاسيكي« في صورته الشرسة من ضرورة الفصل بين الدين (وهو هنا الإسلام) والدولة، أو بين الدين والسـيـاسة، أو بين الدين والحكم، أو بين الدين والاقتصاد والتعليم وسائر شؤون المجتمع، أما الاتجـاه الـثـانـي فهو يواصل ما عهد عن أصحاب هذا الفكر في العقود الماضية من طرح العلمانية وراء أقنعة ومسميات شتى لا تـلـجــــأ إلى المصادمة المباشرة أو الوضوح الصريح أو الإفصاح عن النوايا والأهــــداف النهائية، وظهور الاتجاه الأول الذي يمكن أن نسميه بالأتاتوركي نسبة إلى رائد العلمانية في العالم الإسـلامــي في شكلها

السياسي الشامل يرتبط بتصاعد الحرب من جانب القوى المحلية والأجنبية ضد الحركات الإسلامية، حيث فقدت هذه القوى توازنها أو صبرها في الفترات الأخيرة، وقررت أن تكون الحرب علنية ليس فقط ضد التيارات الإسلامية ولكن ضد الإسلام ذاته، من خلال وجوده الدستوري والقانوني في أنظمة الدول العربية، وأيضاً من خلال وجوده الـمؤسسي في هيئات تعليمية أو ثقافية أو اجتماعية، ولذا جاءت الدعوة إلى العلمانية الأتاتوركـيــة صـريحــة إلى حد أننا سمعنا مثلاً موظفاً رسمياً في وزارة الثقافة بإحدى الدول العربية يتحدث باسم وزارته وهو ما يعني الحديث باسم الحكومة داعياً إلى فصل الدين عن الدولة في دستور البلاد، وتتردد آراء مشابهة من جانب كتاب من المشرق والمغرب العربي في صحف ومجلات تـصـدر هـنــا وهـنــاك، وتديـرهــا وتدعمها الأنظمة والحكومات، وتتراوح أهداف هذا التوجه الجديد المعلن ما بين بـالـونــات اخـتـبار (وفق المصطلح الصحفي الدارج) لآراء الصفوة والجماهير نحو الدعوة العلمانية الصريحــــة، وما بين الـتـهـديــد لـلإسـلامـيـيـن والمؤسسات الإسلامية بأنهم إذا لم يتوقفوا عن النشاطات الإيجابية في مجال الدعوة والحـــركة فإن الأنظمة الحاكمة قد تضطر في نهاية المطاف إلى اللجوء إلى »الحل الأتاتوركي« أي إلى تبني العلمانية التقليدية بالنص في الدساتير والقوانين على تنحية الإسلام وعزله عن شؤون الدولة والحكم والمجتمع بكل مؤسساته، والوصول إلى الإقصاء الشامل لهذا الدين عن كل شؤون الحياة.

خطورة التوجه العلماني الجديد:

لكن هذا التوجه الأخير للطرح العـلـمـاني عـلـى خـطــورته المتمثلة في المصادمة الصريحة للإسلام، يبقى محدوداً من الناحية الكمية بالمقارنة مع الـتـوجــه العلماني الأخير الذي يحتل المساحة الكبرى في الكتابات الفكرية والإعلامية العلمانية، وأعني به تسريب هذا الفكر بشتى جوانبه وراء مجموعة من الأقنعة وأدوات التنكر والستائر التي تخفي حقيقة جوهره أو مقاصده وأغراضه البعيدة أو الجهات التي تحركه وتستفيد منه، وفيها جهات دينية غير إسلامية تتمسك بأديانها أشد التمسك، وتتعصب لها إلى الحد الممقوت، لكنها تريد للمسلمين أن يتحللوا من دينهم، وأن تنفصم عرى هذا الدين، ويـبـعـد عـــن حـيــاة الشعوب وتوجيه مصائرها، وإذا كان الفكر العلماني الكلاسيكي محدود الطرح في الناحية الكمية حتى الآن، فإن الفكر المقنع منذ فترة طويلة ومازال أكثر انتشاراً لأنه لا يسعى إلى الـصـدام الـمـباشر الواضح مع العقيدة، بل يواصل عدوانه عليها، ويهاجمها بطريق غير مباشرة، فيقوض الطرح الإسلامي بطريق الإجهاض والإضعاف المستمر، دون أن يجازف بإثارة مشاعر الجمـاهـيـر المسلمة أو تحفيز طاقات رد الفعل الفكري الإسلامي، أو تنبيه المسلمين لما يراد بهم، بل ويـكـســـب فوق ذلك التظاهر بأنه تيار فكري محايد أو حتى »إسلامي مستنير«!!

صور جديدة للخداع:

وأقنعة العلمانية كما عهدناها متعددة وكثيرة ومتغيرة وفق الظروف والمناسبات، وتتيح هذه الأقنعة مزايا أخرى لأصحاب الفكر العلماني غير ما لاحظناه فيما سبق، فهي قبل كل شيء تمكنهم من الرد على دحض الإسلاميين لأفكارهم بمقولة أن الإسلاميين لا يفهمون العلمانية، أو يتعمدون الحط من شأنها بربطها بالفكر في الإسلام، بينما هي »في الحقيقة« (أي في القناع والفكر) لا تعني سوى التفكير الحر، أو الاجتهاد الذهني، أو الاستنارة العقلية، أو الموضوعية العلمية، أو الإصلاح الاجتماعي والديني!!... الخ.
ولقد شاهدنا في الفترة الأخيرة إحدى المجلات الشيوعية ترد على سلسلة مقالات لكاتب ومفكر إسلامي موضوعي فند فيها أفكار العلمانيين، باتهام الكاتب أنه »يزيف العلمانية« أي يتهم العلمانية، وينسب إليها ما ليس فيها على حد زعم المجلة وهذه هي فائدة أسلوب الأقنعة والتنكر، لأنه يمكن العلمانيين عند الرد الموضوعي والداحض والمفند لأفكارهم أن يتنصلوا منها بزعم أنهم إنما ليسوا سوى دعاة العقل والفكر والحرية والاستنارة والتقدم وما أشبه ذلك من المصطلحات والألـفــــاظ العامة التي يطلقونها دونما تحديد اجتلاباً للأذهان، لكنهم يحددونها في الوقت الملائم وبالمعنى والمضمون الذي يختارونه ويكون أكثر المضامين فعالية وأثراً في وضع ومقام معين.

مزاعم علماني متفلسف:

وفي هذا الصدد مثلاً ونحن نشير إلى أقنعة العلمانية واستخدامها التقنع والتنكر لأغراض مرحلية تتعلق بالرغبة في الانتشار والترويج واستمالة الأذهان وتجنب المواجهة المباشرة، أشير إلى واحد من أحدث هذه الأقنعة وربما كان من أطرفها، فقد عرف أستاذ جامعي مصري للفلسفة وهو غير مسلم اشتهر بهجومه على الإسلاميين منذ عقد الستينات العلمانية بقوله: إنها تعني التفكير في الأمور الـبـشـريــة النسبية والمتغيرة بطبيعتها من خلال فكر نسبي ومتغير، والابتعاد عن »المطلق« عند التفكير في هذه الأمور البشرية وتدبيرها وإدارتها، وهذا التعريف المبتكر للعلمانية يبدو مختلفاً تماماً وبعيداً كل البعد عن تعريفها التقليدي بأنها فصل الدين عن الحكم والدولة والمجتمع، لكنه بعد تحليله يصل إلى نفس الهدف وراء سحابة المصطلحات الفلسفية عن المطلق والمتغير والنسبي.
فصاحب هذا التعريف يصف العلمانية بأنها الـتـفـكـيــر في الشؤون البشرية ذات الطابع النسبي والمتغير بأساليب وأفكار مماثلة لها من حيث النسبية والتغير لكنه من المعروف أن المذاهب العلمانية المتنوعة وبالذات في المجالات »المتغيــرة والنسبية« كالسياسة والاقتصاد وقضايا المجتمع، اتسمت بأشد درجات الإطلاق والجمود والصلابة وعدم التغير بحيث كانت تضع نفسها في شكل دساتير وقوانين صارمة ثابتة تهيمن على حركة المجتمعات

التي طبقت فيها وتعيد صياغتها بشكل كلي وشامل بحيث تتسق هذه المجتمعات مع تلك الأفكار النظرية المجردة، ولو كلف الأمر ملايين الضحايا البشرية ومحن واضطرابات تستمر عشرات السنين.
وليست التجربة الشيوعية فيما كان يعرف بالكتلة الشرقية الأوروبية عنا ببعيد، فالمذاهب العلمانية نفسها، وهي من وضع البشر لم تكن ترى في نفسها أنها أفكار متغيرة ونسبية جاءت لتحكم شؤون بشرية متغيرة ونسبية، بل على العكس فقد انتحلت لنفسها بالضبط ما تدعي العلمانية أن الأديان قد اتصفت به ألا وهو الطابع المطلق الشمولي الجامد المستعصي على التغير، وينطبق هذا حتى على تلك المذاهب العلمانية التي ادعت »الليبرالية« أو التحرر، إذ لم تخلوا هذه المذاهب من مطلقات مقدسة طرحت على أنها ثابتة ثبوت الدهور، وغير متغيرة مع تغير الظروف، بل وعلى أنها هي التي تحكم وتضبط وتوجه التغيرات وتهيمن عليها لا تواكبها ولا تسايرها ولا تتغير معها، وهذه المقدسات معروفة حتى الآن في الحرية الاقتصادية ونظام التمثيل البرلماني، وأفكار المساواة المطلقة والفردية، وأشهر مطلق من مطلقات الليبرالية بل ومن مطلقات الفكر العلماني نفسه هو مطلق فصل الدين عن الدولة.
وللماركسية والاشتراكية مطلقاتها الخاصة كما لسائر المذاهب والفلسفات العلمانية، بل إنهم يتبادلون الهجوم فيما بينهم بالإشارة إلى الطابع المطلق لكل منهم الذي يستعصي على التغيير والنسبية، ويقاومهما ويصر لنفسه على احتكار الحق المطلق حتى في أدق الأمور الاجتماعية والاقتصادية وأكثرها عرضة لمجريات التغير والتبدل.

العلمانية والمطلق والنسبي:

العلمانية إذن لم تكن أبداً إدارة أو تفكيرفي شؤون البشر المتغيرة والنسبية بأفكار وأساليب تشاكلها، بل على العكس كانت تتمثل في استبدال مطلق جديد (هو العلمانية) لمطلق قديم هو (المسيحية الغربية)، وما رافقها من أفكار ومذاهب سياسية واقتصادية وثقافية، ثم إن المذاهب العلمانية لم تنظر لنفسها على أنها مجرد تعبيرات ملائمة عن أوضاع نسبية ومتغيرة، تتغير وتتبدل وتمضي مع ذهاب هذه الأوضاع، بل على العكس اعتبرت نفسها مبادئ وخطوط عمل وإرشاد وتوجيه حاكمة وعامة، توجه وتقود وتشكل هذه الأوضاع، بل وتحكم كيفية ومسار تغييرها إلى أبد الآبدين، أو إلى الوصول إلى الفردوس الأرضي ونهاية التاريخ كما في الماركسية والليبرالية.
العلمانية إذن تحل لنفسها ما تحرمه على غيرها، وإذا نظرنا إلى الجانب الآخر من المسألة فلن نجد داعياً لوصف شؤون البشر بأنها نسبية ومتغيرة مهما كانت درجة التغير والتبدل التي تطرأ على أحوال الأفراد والمجتمعات والأمم فوراء هذه التغيرات تقف (كما تقول لنا حتى فلسفات العلمانية ذاتها) قوانين كبرى ومبادئ عامة، وملامح مشتركة، تجعل من وجود أفكار وتعاليم مطلقة

للتفكير في هذه الشؤون، أمراً مقبولاً، بل وضرورياً، ولا ننسى أن »ماركس« وهو أحد كبار كهنة الفكر العلماني الغربي قد ابتكر نظاماً مطلقاً محكماً ادعى أنه يقف بثبات وصرامة لا تتخلف وراء كل التغيرات التي تطرأ على المجتمعات فالمطلق أياً كان له مجال في التفكير في الشؤون البشرية والـمـطـلــق كذلك له مجال أكبر في مجال توجيه هذه الشؤون كما تدل على ذلك التجربة العلمانية ذاتها في النظرية والممارسة، ذلك لأنه إذا قبلنا بفكرة أن كل الشؤون البشرية متغيرة ونسبية، فإن ذلك لا يعني منطقياً أن تكون المبادئ التي توجه وتحكم هذه الشؤون متغيرة ونسبية مثلها، لأن الحكم والتوجيه والتدبير في حد ذاته يعني وجود درجة كبيرة من الثبات والهـيمـنـة، تتجاوز النسبية والتغير وتتعالى عليهما أو تقود التغيرات في مسار معين، وتبعدها عن مسار آخر.
والأكثر أهمية في ذلك هو بحث معنى »المطلق« وفق هذا التعريف الـمـبـتكر للعلمانية، فهل المقصود هنا هو »الإله« الذي تتحدث عنه الأديان التي يواجهها العلمـانـيـون رغم ضرورة الإشارة إلى اختلاف مفاهيم الألوهية بين الأديان وبالأخص بين الإسلام وبين سائر الأديان بما فيها تلك التي تسمى حالياً بالسماوية أم أن »المطلق« هذا هو الأفكار والمذاهب الدينية لاسيما ما يتصل منها بالتشريع والشؤون الاجتماعية المتنوعة، وفي هذه الحالـــة ينبغي الإشارة إلى وجود شريعة في الإسلام تختلف جوهرياً وبالنوع عن أي أفكار أخرى بدائية ومحدودة قد تحتويها الأديان الأخرى في مجال التشريع الاجتماعي، فالشريعة الإسلامية هي نظام كامل له منهاجه الخاص، ولا يمكن أن تختزل هذه الشريعة بوصفها بتلك الكلمة العامة الغامضة ذات الإيحاءات السلبية في دنيا الفلسفة وهي عبارة »المطلق«، فالـشـريـعــة الإسلامية بالذات تحتوي على مستويات من المبادئ والقوانين والأحكام، وفيها من المرونة ومــن الـقـابـلـيــــة للاستيعاب وتغطية المتغيرات، والتعامل معها من خلال أنظمتها هي كالاجتهاد وغيره مـــا يحول دون نشوء مشكلة التقابل الثنائي بين المطلق والنسبي التي يثيرها ذلك التعريف العلماني، وهو يحمل في ذهنه الأوضاع المسيحية الغربية.
وإياً كان ذلك »المطلق« فلا يعطينا تعريف العلمانية هذا مسوغاً لإبعاده عن شؤون البشر، سواء أكان تفكيراً فيها أو توجيهاً لها، مادام أن الـعـلـمـانية نفسها تقيم بعده مطلقاً أو مطلقات أخرى من صناعتها هي، أي أصـنـــام وثـنـيـة مادية لتحل محل الآلهة الغيبية (حسب تصورهم)، فلا جديد في المسألة.

تهافت العلمانية الجديدة:

تعريف العلمانية الجديد هنا ينشيء عند تحليله تناقضات ومشكلات عديدة، كما أنه ينبثق عن نفس التعريف القديم، لكنه ليس سوى قناع أو تنكر له، فهو يطلق اسم المطلق على: الدين أو الشريعة أو العقيدة أو »الله«، وهو ذو

إيحاءات سلبية كما قلنا ولاسيما في مذاهب الفلسفة الغربية الحديثة وفي مقابلة هذا المطلق توضح شؤون البشر المتغيرة النسبية (هكذا كل شؤون البشر متغيرة ونسبية عندهم بإطلاق!)، ثم تأتي العلمانية لتسمى في هذا التعريف بالأفكار النسبية المتغيرة والتي تصلح بذلك دون »المطلق« لتسيير وتفسير حياة البشر وشؤونهم.
إنها مجرد تسميات مختلفة، فبدل القول بأن الدين يجب أن يرفض وينحى من حـيـاة البشر لتحل محـلـه العلمانية، أو بالأصح مذاهبها المختلفة يأتي القول بأن حياة البشر متغيرة نسبية بإطلاق (!) في التغير والنسبية، وأن هناك اتجاهين يتنازعان تفسير وتسيير هذه الحياة، أحدهما »مطلق« لا يصلح لها والآخر مثلها متغير نسبي، فهو الأصلح والأجدر بها، هكذا تترجم العلمانية الكلاسيكية إلى صياغة تحاول أن تتجمل بمصطلحات الفلسفة ذات الإيحاءات والظلال المعينة دون أن يتغير شيء في المضمون.
لكن هذا التعريف الجديد أو القناع الجديد يحتوي مـــن التـنـاقـضـات أشد ما يحتويه التعريف الأقدم، لاسيما فيما يتصل بالإسلام، فشريعة الإسلام ليست ذلـك »المطـلـق« البعيد عن دنيـا البشر وهمومهم وأوضاعهم بل هي وثيقة الصلة بها لا من حـيـث إنها تعكسها وتبررها وتواكبها بشكل ذيلي في تغيراتها كما يصور التفسير المادي المألوف، بل من حيث إنها تقودها وتوجهها وترقى بها وفق مشيئة وحكمة العزيز العليم الذي أوحـــى بـهـــا، وشـــؤون الـبـشر في هذا التصور الإسلامي ليست متغيرة نسبية بإطلاق، بل تطرأ عليها التغيرات وفق سنن ثابتة، كما تتفاوت التغيرات بين مادي واجتماعي ونفسي وعقدي وأخلاقي... كل له مساره الخاص ودرجته الخاصة في مدى التغير، والتغير فيها يمكن توجيهه والتحكم فيه على الأقل من الناحية المهمة كناحية الإيمان وإرضاء الله بالعمل وفق منهجه، والثبات في محن البلاء والاختبار المتنوعة.
وأخيراً فإن الأفكار العلمانية ليست نسبية التطور كما يزعم التعريف، بل هي تزعم لنفسها كما أسلفنا الإطلاق والثبات، أضف إلى ذلك السذاجة الفكرية المتضمنة في مقولة أن النسبي والمتغير لا يصلح للتفـكـيـر فيه سوى النسبي والمتغير فصاحب هذا التعريف وهو ماركسي النزعة يعرف أكثر من غيره أو هذا هو المفترض أن الماركسية وقبلها بدرجة أكثر الهيجلية قد حكّمت فكراً (أو ما أسموه بمنهج علمي) مطلقاً هو الجدل أو الديالكتيك بشقيه المنطقي والمادي في تفسير ما رأوا أنـــه شؤون الحياة والتاريخ المتغيرة والنسبية، فالمتغير في هذه الفلسفات محكوم بقانون مطلق لا يجعل منه تغيراً بقدر ما يجعل منه ثباتاً يتجلى شيئاً فشيئاً إلى أن يظهر بكامله، كما أن النسبي عندهم لا يصبح نسبياً إلا عندما ينسب إلى إطار مطلق يحتويه ويتعالى عليه.

خدعة المجتمع المدني:

في نهاية الأمر لسنا نواجه ســـوى قناع آخر من أقنعة العلمانية هذه المرة في ثوب فلسفي النقش، لكن الأقنعة لها ثياب متعددة، فهناك مثلاً الثوب السياسي الذي يفصح عن نفسه هذه الأيام في مصطلح كثر ترديـــده بـصـــورة ببغاوية حتى عد عند بعضهم وكأنه الحل السحري لكل الأزمات والمشاكل وفي مقدمتـهـا أزمة الإسلام، وأعني به مصطلح »المجتمع المدني«، فالدعوة إلى العلمانية هذه الأيام تتخذ شكل الإلحاح على إقامة أو تقوية ما يسمى »بالمجتمع المدني«، وليس المقصود بهذا المجتـمـع كـمـا قد يتبادر إلى الذهن أنه المجتمع الذي لا يسيطر عليه العسكريون بشكل مباشر أو غير مـبـاشـــر كـما هي الحال في معظم المجتمعات العربية، بل على العكس نجد أن أصحاب هذا المصطلح أو التعريف العلماني من أشد أنصار الحكم العسكري، لأنهم يرون في شراسة هذا الحكم وبـعـده عــن الالتزام بالقوانين وحقوق الإنسان، أكبر ضمانة للتصفية الجسدية للحركات الإسلامـيـة الـتـــي يناصبونها العداء والخصومة.
المجتمع المدني المقصود في هذا المصطلح الذي نجد له أوسع رواج الآن في بعض الصحف والمجلات والمنابر الناطقة باسم النخبة العلمانية، هو المجتمع اللاديني، ذلك لأن »المدني« عندهم لا يواجه »العسكري« بل يواجه »الديني« وقد اعتمد مطلقو هذا التعبير على ترجمة محرفة للاصطلاح الدنيوي أو غير الكنسي في بعض اللغات الأوروبية، الذي يقابل ويواجه »الكنسي« أو الديني فالدين عندهم يرتبط بما هو متصل بالكنيسة ورجالها (الكهنوت) الذين يشكلون بزيهم وتنظيمهم المستقل المميز سلكاً هو سلك الدين أو الكنيسة المتميز عن سائر المؤسسات الاجتماعية، كسلك الجيش أو ملاك الأراضي... الخ، وعند غيرهم يطلق عليه اسم »الدنيوي« (أي غير الديني) الذي تحور في الترجمة أو في التلاعب عند أصحاب التعريف أو الدعوة الجديدة إلى »المدني«.
والخلط هنا ينشأ من أن كلمة »المدني« في استخدامات العربية الحديثة تطلق أساساً للتفرقة بين ما ينتمي إلى السلطة العسكرية وما ينتمي إلى غيره كما قد يطلق على ما ينتمي إلى المدنية أو الحضر، أو ما يتسم بالصفات السائدة في تلك الأماكن، لكن »المدني« لا يعني في العربية »العلماني«، ومن هنا يأتي القناع أو التنكر، فهم يستخدمون تعبير المجتمع المدني لأنه سيجد القبول بإيحاءاته التي تعني مجتمعاً لا يسيطر عليه العسكريون بالدكتاتورية والتسلط وكبت الحريات وفرض الرأي الواحد الخاطئ في معظم الأحيان، كما أن أصحاب المصطلح يساعدون على هذا الترويج بإكسابه إيحاءات أخرى ينظمونها حول لفظة »المدني« كالديموقراطية والحرية وتعدد الآراء والمناقشات والانفتاح السياسي والفكري، لكنهم عندما يتحدثون عن هذا المصطلح فإنما يقصدون كما يتضح من كتاباتهم العلمانـيــة أو اللادينية المجتمع الذي يفصل الدين عن حياته وينحيه بعيداً، وهكذا يظهر الـمـصـطـلـح

جذاباً لبعضهم لكنه في نفس الوقت يؤدي نفس ما يؤديه التعريف الكلاسيكي للعلمانية.
وكما هو الحال في التحليل السابق للتعريف الجديد للعلمانية، فإننا إذا حللنا تعبير »المجتمع المدني« كما يستخدمه العلمانيون، فسنجده ينطوي على تناقضات تهوي به كمصطلح جاء حسب استخدامهم أبسطها أن مفهوم »المجتمع المدني« كما يستخدم في الكتابات الاجتماعية الغربية يعني مجموع المؤسسات والهيئات والمنظمات والجمعيات والروابط المعروفة (الجيش، الشرطة الجهاز الإداري... الخ)، ومن هذه الناحية فإن المصطلح بمعناه الدقيق أو العلمي في الكتابات الأكاديمية يضم ولا يستبعد المؤسسات الدينية، كما يضم ولا يستبعد الأفكار والرؤى الدينية طالما أنها تشكل قسماً من نسيج هذا الشعب الذي يتشكل المجتمع المدني من تنظيماته.
وللعلمانية أقنعة أخرى تخفي وراءها طرحها الأساس والصريح الذي ما خرج هذه الأيام إلى طور العلن إلا كحلقة من حلقات المواجهة مع الإسلام كما يسمونها، والأقنعة ذات فوائد متعددة للطروحات العلمانية لكنها في المقابل ينبغي أن تكون بمثابة ساحة تدريب ودافع تنشيط للفكر الإسلامي في تتبعها ودراستها ودحضها وكشف ما وراءها، مع إظهار البديل أو بالأصح »الأصيل« الإسلامي الذي تحاول هذه الطروحات أن تشوه صورته أو تخفيه.

من ثمار المنتدى

أنشطة المنتدى الإسلامي

سبق الحديث في الأعداد السابقة عن بعض مشاريع »المنتدى الإسلامي« مثل: »كفالة الدعاة، وبرنامج شهر رمضان الماضي، ومشروع مكافحة العمى بدولة تشاد، والدورات والملتقيات العلمية للمنتدى، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم«، ومشروع مكتبة إسلامية، ومكتبة طالب علم، وفي هذا العدد نواصل الحديث عن مزيد من المشاريع كما يلي:

البيان

ثامناً معاهد إعداد الدعاة:

تمهيد:

العلم الشرعي من القضايا الأساسية التي يقوم عليها العمل الدعوي ولهذا كان العلم هو مقدمة كل عمل ومع الأسف الشديد فإن الجهل بأصول الإسلام وقواعده العامة، فضلاً عن غيرها من السمات السائدة في أوساط المسلمين، ليس عند عامة المسلمين فحسب بل حتى عند خاصتهم من أئمة المساجد والدعاة والمدرسين..

ومن ذلك نبعت فكرة إنشاء معاهد لإعداد الدعاة في عدد من الدول الإسلامية، لنشر الوعي الشرعي بين المسلمين، وإعداد مجموعة مـنـتـخـبــة مـــــن الـدعاة للقيام بالأعباء العلمية والدعوية.

ولا شـــك أن إعـــــداد الرجال القادرين على تحمل المسؤولية وأعبائها عملية شاقة جداً، وتتطلب جهوداً كبيرة، ولكنها في غاية الأهمية، وهي ضرورة ملحة ينبغي الاعتناء بها.

ب -أهـداف المشـروع:

1- إعداد كفاءات دعوية مؤهلة قادرة على تحمل المسؤولية.
2- نشر العلم الشرعي في أوساط المسلمين.
3- إعداد طاقات سلفية واعية، ترفع راية أهل السنة والجماعة.

ج-إعداد المنهج التعليمي:

المنهج التعليمي هو إحدى الركائز الأساسية لإنجاح المشروع، وقد قامت لجنة من الأساتذة الأكْفَاء بوضع خطة تعليمية يعتمد تدريسها في المعاهد، مع الاستفادة من مناهج الجامعات الإسلامية.

د- خطة الدراسة في المعاهد:

يتم اختيار الطلاب الذين أنهوا المــرحـلـــة الثانوية بتفوق من المدارس الإسلامية، وسوف تكون الدراسة في المعهد لمدة سنتين اثنتين فقط تدرس فيهما المواد التالية:

(التفسير - الفقه - الحديث - أصول الدعوة - اللغة العربية - العقيدة - التلاوة - أصول الفقه - مصطلح الحديث - التاريخ والسيرة - الفرق والأديان) .

في السنة الأولى يتم افتتاح ثلاثة فصول دراسية فقط، ويكون عدد الطلاب المقبولين ثلاثين طالباً في كل فصل، وفي السنة الثانية يتم افتتاح ثلاثة فصول دراسية أخرى بحيث لا يزيد مجموع الطلاب في المعهد عن 200 طالب.

هـ - المدرسـون:

سوف يتم اختيار أربعة من المدرسين الأكْفَاء للقيام بأعباء هذه المسؤولية الكبيرة في السنة الأولى، ويكلف أحدهم بالقيام بإدارة المعهد بالإضافة إلى جهوده في التدريس، وفي السنة الثانية يزاد ثلاثة مدرسين آخرين ليكون المجموع الكلي للمدرسين سبعة مدرسين.

تكلفة إنشاء معهد لإعداد الدعاة: 133٫000 دولار
متوسط تكلفة تشغيل المعهد للسنة الأولى: 32٫000 دولار وهذا يشمل الرواتب والكتب والمصروفات الإدارية.

تاسعاً القوافل الدعويـة:

المناطق الإسلامية مـنـاطـــق كبيرة مترامية الأطراف وعرة المسالك والدروب، وقد انتشر الإسلام بحمد الله تعالى في مخـتـلـف الأدغــال والقرى النائية، ولكن الجهل غلب على المسلمين في المدن الرئيسة فضلاً عن القرى

والهجــر النائية، مما جعل البدع والشركيات والكهانة تنتشر في أوساط المسلمين انتشاراً واسعاً، بل انتشرت بعض الطقوس والعادات الوثنية، حتى بلغ الحال في بعض المناطق أن الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين تركوا دينهم وتحولوا إلى عبادة الأوثان، ولكن بقيت عندهم بعض الرسوم والعادات الإسلامية التي توارثوها عن آبائهم، مثل التوجه جهة مكة خمــس مرات في اليوم والليلة، وهم يفعلون ذلك ولا يدرون لماذا يفعلونه!
ومثل هؤلاء هم البيئة الخصبة غالباً للنشاط الكنسي، حيث أقيمت المراكز التنصيرية في القرى النائية، واستقر المنصرون بين المسلمين حتى أصـبـح مــن المعتاد أن ترى القسيس المنصر يسكن بين الأدغال والأحراش منذ سنوات طوال.
ولصعوبة الانتقال بين المدن والقرى، ولوعورة الطرق وخطورتـهـا في بعض الأحيان، كلف المنتدى الإسلامي دعاته بإعداد القوافل الدعوية التي تنطلق إلـى مـخـتـلــف المواقع التي ينتشر فيها المسلمون وغيرهم من الوثنيين والنصارى، وذلك حرصاً على الوصول إلى الأماكن البعيدة والوعرة.
وتتكون القافلة في الغالب من: داعية يجيد لغة القوم، داعية محلي ليكون دليلاً ومعيناً، طبيب عام لمعالجة المرضى، مشرف زراعي أحياناً، سائق.
وتحمل القافلة أدوية لعلاج المرضى، وأحياناً بعض الملابس والمواد الـغـذائـيـة، وأحياناً أخرى بعض الكتب باللغة المحلية، وذلك من أجل تأليف قلوب الناس وتقريـبـهـم إلـى الإســـــلام، كما تكلف القافلة بإجراء المسح العام للمنطقة لمعرفة احتياجاتها ومشكلاتها لعرضها على المكتب الرئيس في المنطقة لدراستها وتقويمها.
وقد أجريت التجارب الأولية لهذه الخطة فوجدت نتائج طيبة مباركة ومشجعة للمزيد من العطاء والإنـتـاج، حـيـث أقـبــل الناس على العلم وبدأوا يتعرفون على العقيدة الصحيحة والعبادات السليمة، إضافة إلى الوثنيين الذين يسلمون على أيدي هؤلاء الدعاة (ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم ».

متوسط تكلفة القافلة الدعوية الواحدة 1350 دولار

الورقـة الأخـيرة

أيها الغيورون عتابكم مقبول

التـحـريـر

بعد صدور العدد (78) وما ورد فيه من رؤية خاصة لكاتبين من كُتاب المجلة في موضوعين مختلفين هما (ذوق الداعية) و(قـصـة: درس الشـيـخ)، وما ألمحا إليه من موقف رأياه عند ذكرهما للحديثين (حديث سلمان رضي الله

عنه قــال: قيل له: قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة... الحديث)، وحـديـث (بول الأعرابي في المسجد) .
فوجئنا ببعض الإخوة الغيورين الذين كاتبونا وهاتفونا جــزاهم الله خيراً مفيدين بأن سياق المقالين فيه استهانة وتقليل من قيمة الحديثين، ونعوذ بالله أن يخطر ببال مسلم أي شيء من ذلك، لكنها وجهة نظر حيال التناول الجزئي عند عرض ديننا الحنيف والتوقف عند نقاط بعينها، وتناسي الأصول العامة والكليات الكبرى.
ثم إن الخلاف قد يحصل من طريقة التناول، ولذلك نؤكد على أهمية ألا يخطر ببال أحد من قرائنا الكرام ما ذكر، ونحن نعلم ولله الحمد قيمة ما أوردتـه الـسـنـة، فحديث سلمان رضي الله عنه أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة وغـيـرهـــم، ولذلك قـــال النووي رحمه الله : ومراد سلمان رضي الله عنه »أنه علمنا كل ما نحتاج إلـيـه فـي ديـنـنا...«، وجاء في »المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود« للسبكي [1/38] عند شرحه لـحـــديث سلمان رضي الله عنه عند قوله: »أجل..«، يعني علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء نحتاج إليه في ديننا، وقال الطيبي: »جواب سلمان من باب أسلوب الحكيم لأن الـمـشرك لما استهزأ كان من حقه أن يهدد أو يسكت عن جوابه، لكن ما التفت سلمان إلى استهزائه وأجاب جواب المرشد للسائل الـمُـحَـيّـر«.
أما حديث بول الأعـرابــي، فـقـد رواه البخــاري في كتاب الوضوء ح/219 [فتح الباري، الجزء الأول، ص 385]، وقد ذكر ابن حجر فـي الفـتـح الحكم العظيمة من تركه يبول في المسجد.
لقد كان الحديثان الشريفان موثقين من المصادر الـمعتمدة، وحسبهما أنهما في الصحيحين، ولا يجوز لمسلم أن يشكك في صحتهما أو أن يقـف مـنـهـمـا موقف المجادل أو المستهزيء، ونحن في هذه المجلة نصدر عن منهج إسلامي سلفي يقدر الـمـصــــادر الحديثية المعتمدة، ونرفض جملة وتفصيلاً المساس بأي منها لأن ذلك يعني النكوص عـــن منهج سلفنا الصالح الذي طالما حذرنا من مخالفته في الكثير من البحوث والمقالات في هــــذه المجـلـة، لكن ما حـصـل كان وجهة نظر وضحنا منطلقها، والأخوان الكاتبان نحسبما، والله حسيبهما، ولا نزكي على الله أحداً من المعروفين بغيرتهما على السنة، ومن الملتزمين بها.
والله نسأل أن يغفر لنا جميعاً، وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم.

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين